



الأتراك البخاريون

عمرو توران



الأترك البخاريون

بقلم : عمرو توران

مقدمة:

علم التاريخ فن جميل وعلم عظيم، به تعرف الأحوال والأخبار والأقوام، وبه تقاس الأمم، ومنه يستفيد اللبيب ومن أخطاء من سبق يتحاشى العاقل والفطن، ورحم من قال فأجاد وأوجز:

إذا علم الإنسان أخبار من مضى توهمته قد عاش حيناً من الدهر وأحسبه قد عاش آخر دهره إذا كان قد أبقي الجميل من الذكر

وعلم التاريخ مما يكثر التصنيف والتأليف فيه ، ومما يكثر فيه اللغط والغريب والعجيب ، فكان حرباً بالعاقل أن يُعمل عقله وأن يتحرى الصحيح والدقيق مما يطالع ويقراً .

وتشوق الإنسان لمعرفة تاريخه، من أحوال قومه وبني جلدته، وتطلعه لأخبار أجداده وأحوال بلدته من الأوصاف الفطرية، بل هي من قمة الأخلاق والوفاء والمروءة الإنسانية.

ومما يؤسف المرء ، جهل الكثير منا لتاريخه ونسبه ، وتضييعه لجنسه وأصله ، بل ذهب بعضهم إلى إنكار هويته ونبذها ولهته وراء غيرها ، جهالة منه وحمقاً ..

وفي هذه الأسطر ، سأحدث بإيجاز وفي خطوط عريضة- مما قدر الله لي من المعرفة ومما سهل لي من البحث والإطلاع - عن الأترك بشكل عام والتركستانيين (البخاريين) منهم بشكل خاص ، راجياً من المولى التوفيق والسداد ، وأن يكون ما كتبت مجيباً للتساؤلات وموضحاً ومزيلاً لكثير من الأخطاء والالتباسات .

الأعراق البشرية:

خلق الله سبحانه وتعالى البشر ، ويميزهم عن بعضهم بأن جعلهم شعوب وأعراق مختلفة ، لها صفاتها وميزاتها الخاصة البيولوجية " الهيئة " واللغوية ، وهناك تقسيمان قديم وحديث للجنس البشري :

١ - التقسيم القديم:

اعتمد على ما جاء في الكتاب المقدس، وهو يقسم البشر إلى أقوام مختلفة، ينتسبون إلى أحد أولاد نوح - عليه السلام - الثلاثة:

أ- سام : وينتسب إليه الساميون ، وهم ساكنو الجزيرة العربية ومن نزح عنها في الهجرات السامية القديمة :

كالأكاديين والبابليين والآشوريين والكنعانيين وبني إسرائيل ، ثم العرب العاربة والمستعربة ، والبائدة مثل : عاد وثمود وإرم ..

ب- حام : وينتسب إليه الحاميون (الزنوج ، والأقباط ، والهنود والسود والبربر والأفارقة عموماً) .

ج-يافت : وينتسب إليه الأترك ، والصينيون ، والآريون : كالفرس والطاجيك والأكراد، والأوروبيين عموماً : كالليونان ، والكلت " ١ " ، والسلاف ، والجرمان والأرمن وغيرهم .

٢ - التقسيم الحديث :

بداية ظهرت نظرية قديمة عام ١٧٠٠ م وضعها العالم الألماني الشهير " جوهان بلومن باخ " Johann Blumen bach في علم الأعراق قامت على تصنيف البشر عرقياً معتمدة بشكل أساسي على لون البشرة وملامح الوجه وهيئة الشعر والجمجمة ، وكانت نظرية مبنية على تصور أن العرق الآري كان في فجر التكوين منشؤه القفقاس وأنه أقرب الأجناس إلى الكمال " ٢ " .

" ١ " -الكلت أو السلتي Celt : هم شعب آري ، يتكلم لغة هي فرع من فروع اللغات الهندو - أوروبية ، هاجروا من أواسط آسيا على دفعات - حوالي سنة ٢٣٠٠ ق.م - واستولوا على معظم أقاليم أوروبا الغربية والمركزية ؛ وأنشؤوا فيها حضارات مهمة، فارضين لغتهم ودينهم وعاداتهم على السكان الأصليين في هذه الأقاليم من قبل أن تغزوهم قبائل جديدة وفدت من شمال أوروبا وهي قبائل الجرمان الآرية القوية وهي : الأنكلز Angles والساكسون Saxon والجيوت Gute .

" ٢ " - على هذا الاعتقاد نفسه - للأسف - قامت الحركة النازية التي أباحت استعباد الأعراق الأخرى بل وقتلتهم إذا لزم الأمر !

وقد أثبتت الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة (الأنثروبولوجيا = علم الإنسان) القائمة على أسس أعمق من تلك مثل دراسة شكل الجمجمة وقياساتها والزمر الدموية ينتواعتها وحتى الدراسة الجينية بطلان تلك النظرية وتهافتها "١".
وتعتبر اللغة أحد المعايير الأساسية والمهمة التي يستعان بها في تصنيف البشر ، والتقسيم الحديث من حيث اللغة فهو كالتالي " ٢ " :

- مجموعة اللغات السامية، وتتضمن :

- ١- العربية
- ٢- البابلية
- ٣- الآرامية
- ٤- الكنعانية (ومنها العبرية)
- ٥- الكلدانية وغيرهم ...

- مجموعة اللغات الهندو-أوروبية : ويتفرع عنها :

- ١- الهندو-إيرانية : وتتضمن الفارسية - البلوخستانية (البلوشية) - الكردية - الباشتونية - السنسكريتية " ٣ " .
- ٢- اللاتينية : وتتضمن الإيطالية - الفرنسية - البرتغالية - الإسبانية ...
- ٣- السلافية : وتتضمن الروسية - البولونية واللثوانية ...
- ٤- الجرمانية : الإنكليزية - الألمانية - الهولندية - السويدية - الدنماركية - النرويجية ...
- ٥- اليونانية : وتشمل اليونانية القديمة والحديثة .
- ٦- الأرمنية .
- ٧- الألبانية .
- ٨- الكلتية : وهي كانت اللغة المهيمنة على أوروبا، من إيرلندا حتى البرتغال وشمال إيطاليا وسلوفاكيا ، ولكن قلما تجد الآن من يتحدث بها .

- مجموعة اللغات الألتائية :

تضم ثلاث أسر لغوية :

- ١ - اللغات التركية .
- ٢ - اللغات المغولية .
- ٣ - التتغوزية (المنشورية) .

"١" -لذلك لا يصدقك بياض البشرة والشقرة في قبوك اعتمادهما مبدأ للتصنيف العرقي ! فهل تعرف أن الإيرانيين والأفغان (البشتون) والأرمن وقسماً مهماً من الشعب الهندي هم أربو العرق واللغة وهم أقرباء الأوروبين لغة وعرقاً رغم سمرتهم !! فالثابت علمياً أن لون البشرة ونوع الشعر وأن ملامح الوجه تتغير عند البشر (طبعاً بشكل تدريجي وعلى عدة أجيال) بتغير الأقاليم التي يسكنها، وخذ لنفسك مثلاً حياً من الزنوج الأمريكيين الذين جلبوا من مجاهل أفريقيا وعليهم السمات الزنجية أوضح ما تكون من شعر مففل بشدة وشفاه غليظة ومقلوبة وبشرة شديدة السواد والأنف الكبير المفلطح وهي الصفات التي تتناسب والمناخ الاستوائي الذي كانوا يعيشون فيه . فلما صاروا إلى أمريكا الشمالية وكندا وتوالدوا هناك أجيالاً متعددة صرت ترى تهذيباً وترقياً لتلك السمات الخلقية ، فالشفاه بدأت تميل للرقعة والأنف إلى الدقة والصغر والبروز ورأينا كيف أن البشرة بالذات آيلة إلى الإبيضاض التدريجي مع توالد الأجيال .. وقد يكون للتراث (الشرعي وغير الشرعي) دور في ذلك غير أنه ضعيف ومحدود لأسباب عديدة.

"٢" - دراسات في فقه اللغة -د. صبحي الصالح - ص ٣٩ بتصرف\دار العلم للملايين .

"٣" - السنسكريتية: لغة قديمة في الهند وهي لغة طقوسية للهندوسية، والبوذية، والجانية " تعرف بـ"جاين داهارما" وهي ديانة وفلسفة بدأت في حقبة ما قبل التاريخ في جنوب آسيا والآن هم أقلية في الهند الحديثة ولكن اتباع المنهج ينتشرون حول العالم". لها موقع في الهند وجنوب شرق آسيا مشابهة للغة اللاتينية واليونانية في أوروبا في القرون الوسطى، ولها جزء مركزي في التقليد الهندوسي. السنسكريتية هي إحدى اللغتين وعشرين لغة رسمية للهند. تدرس في الهند كلغة ثانية. كما أن بعض البراهمانيين -وهم الوعاظ من الطبقة العالية- يعتبرونها لغتهم الأم.

ويختلف العلماء على لغتين :

أ-اليابانية

ب- الكورية

فيقول الكثير أن أصل هاتين اللغتين ليس معروفاً بعد ، لكن أكثر من دخل في القضية يعتبرهما فرعين من الألتائية .

وسأحدث بمزيد من التفصيل عن فروع شجرة اللغات الألتائية لاحقاً .

- مجموعة اللغات الصيني – تيبتيان Sino – Tabetian :

١- الصينية .

٢- التيبتيية .

- مجموعة اللغات القوقازية : مجموعة لغات منفصل بعضها عن بعض تماماً (أي ليسوا من أصل واحد):

١- القوقازية الشمالية الشرقية (داغستان – شيشان ...) .

٢- القوقازية الشمالية الغربية (الشركسية = أديجا و قبرطاي و أباطة) .

٣- القوقازية الجنوبية : الجورجية .

-اللغات الحامية :تنقسم إلى لغات غير متشابهة كالبطية و البربرية و الحبشية.....

العرق التركي :

حسب التصنيف القديم الذي تقدم ذكره ، فإن الأتراك هم أحد الأعراق البشرية القديمة ، وكما ذكر في الكتاب المقدس فهم من نسل ترك بن يافث بن نوح – عليهم السلام - ، وقد تسموا على اسمه .
أما حديثاً وطبقاً للعلم فالأتراك أصلاً من الأقوام البيضاء المسماة بـ البراكيسفال brakisefal (ذوي الرؤوس الواسعة) ، وهم متوسطو القامة "١" ، ويستدل على ذلك مما توصل إليه العلم الحديث وما نتج عن طريق الأعمال والتنقيبات الحفرية للأثار التي قام بها العلماء المهتمون بعلوم ما قبل التاريخ والثقافة البشرية "٢".
أما اليوم فهم خليط من العرق الأبيض والأصفر ، فهناك من الأتراك من هم أقرب للعرق الأبيض منه للعرق الأصفر ، ومنهم من هو أقرب للعرق الأصفر منه للأبيض ، ولكن الغالب القرب للعرق الأبيض منه للأصفر ، وقد أثبتت الدراسات الجينية الحديثة ذلك ، و الأتراك اليوم هم أمة أكثر من كونهم عرق .
المعلومات حول التاريخ القديم للأتراك نجدها بكثرة في المصادر والوثائق الصينية ؛ وذلك لأن بلاد الترك كانت محاذية للصين .

لقد بحثت المصادر الصينية وذكرت أوائل الحكام الأتراك ما بين أعوام ٢٠٠٠ حتى ١٠٠٠ قبل الميلاد ، لذلك نرى بأن التاريخ المكتوب للأتراك يمتد إلى ٤٠٠٠ سنة ، كما كانت اللغة التركية لغة معروفة حتى قبل ٣٠٠٠ سنة ، وكانوا يعتمدون على تربية المواشي بشكل رئيسي للحصول على الغذاء اللازم لاستمرارية الحياة ، لذلك نرى بأن معظم حياتهم كانت في تنقل مستمر ، كما أنهم مشهورون باستخدامهم البارح للخيول ، كما أنهم استطاعوا من خلال وحدات الفرسان القوية التي امتلوكها السيطرة على جيرانهم وإنشاء دول فيها . وعندما دون الصينيون التاريخ استخدموا الأسماء الصينية أو حرفوا الأسماء للتناسب مع اللغة والكتابة الصينية ، وأول ذكر لتسمية

"١"- راجع " المدخل إلى التاريخ التركي "-يلماز أوزطونا - ص ١١ .

"٢"- عثر علماء الآثار الروس في الحفريات ، خاصة تلك التي جرت في أعوام ١٩٢٩ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٩ ، على آثار ثقافية وجماعية للأتراك القبقاق ، وأثبتت الفحوصات الانثروبولوجية لهذه الجماع – التي تمثل هيئة الشخص التركي قبل اختلاطه بالمغول – بأنها خالية بصورة قطعية من أي أثر من آثار الهيئة المغولية كمشق العين وبروز الوجنة وشكل الأنف . وتثبت الأدلة التاريخية أن بشرتهم ناصعة البياض ولون شعرهم أشقر فاتح . انظر تاريخ الدولة العثمانية ، للمؤرخ الكبير : يلماز أوزطونا – الجزء الأول ، ص ٣٨ . ومن ذلك أيضاً مومياءات تاريم ، والتي عثر عليها في حوض تاريم بتركستان الشرقية (شينجيانغ) وتعود المومياءات إلى ما بين ١٨٠٠ ق.م إلي ٢٠٠ ق.م ، تحمل المومياءات ملامح م قوقازية ببيضاء حيث الشعر الأشقر والعيون الملونة ، للاستزادة أنظر :

Baumer, Christoph. (2000). Southern Silk Road: In the Footsteps of Sir Aurel Stein and Sven Hedin, p. 28

الترك جاء في المصادر الصينية في عام ١٣٢٨ قبل الميلاد (أي قبل ٣٣٣٧ سنة من يومنا هذا) و التي تحدثت عن أقوام السهول الشمالية باسم قوم (تيك) . ويرى اللغويون أن هذه اللفظة محرفة من كلمة ترك . و الترك هو اسم يقصد به الأمة التي تجمع تلك العشائر والقبائل التركية التي تمتلك إلى جانب اسم الترك اسماً خاصاً بها يميزها عن غيرها من القبائل التركية ، ويعتقد أن اسم الترك كان اسماً لإحدى القبائل التركية ليطغى فيما بعد على اسم بقية القبائل ، وأصل هذا الاسم هو (Türik) ويعني القوي بالتركية ، وأطلق هذا الاسم لأول مرة كاسم جامع للقبائل التركية (كانت اللغة المشتركة هي أساس وحدتها القومية) في القرن السادس الميلادي وفي عصر حكم أقوام (كوك تورك) والذي سيأتي ذكرهم لاحقاً . أما في العصور السابقة لذلك فكانت القبائل تسمى بأسمائها الخاصة وكان اسم الدولة التركية يطلق على القبيلة التي تظهر تفوقاً عسكرياً وسياسياً من هذه القبائل . ومن المضحك أن نسمع بعض التفسيرات الغير منطقية لسبب تسمية الترك بهذا الاسم ، فمن قائل أن سبب تسميتهم بذلك ترجع إلى كونهم تركوا مناطقهم لمناطق أخرى ، أو من قائل لأنهم تركوا خلف السد عند بناء الصينيين لسورهم ، وهذا والله من قلة العقل وسخافة المنطق ، فكلمة ترك كما تقدم كلمة تركية وليست عربية حتى تُبنى التفسيرات للمعنى على أساس لغوي عربي.

وقد جاء ذكر الترك أيضاً في المصادر اليونانية واللاتينية ، فذكرهم المؤرخ الإغريقي " هيرودوت " والذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد و الكاتب والمؤلف الروماني الكبير " بلينيوس سكندوس " والذي عاش في القرن الأول للميلاد .

إن الأتراك لانتشارهم تقاربوا مع كثير من القوميات الأخرى ، كالآريين ، والصينيين والمغول والسلاف ، وذلك بحكم المجاورة . ويأتي المغول في مقدمة الأمم التي حدث تقارب كبير بينها وبين الترك ، ولكنهم على الرغم من اعتبارهم أقرب الأقربين إلى الأتراك فإنهم ليسوا من الأقوام التركية .

المغول هم قومية كما أن الترك قومية ، فهما قوميتان منفصلتان لا علاقة لأحدهما بالآخر من حيث الأصل، ولا يوجد تشابه بين لغة المغول ولغة الترك ، إلا أن القوميتين أعني المغولية والتركية كان بينهما تاريخ طويل مشترك بحكم المجاورة والاختلاط والتحالفات وتأسيس الدول وصيانتها ، وتأثر كل منهما بالآخر ، فاللغة المغولية اكتسبت بعض المفردات اللغوية من التركية ولا يدل هذا على كون القومين من أصل واحد . فالتركية والفارسية أخذت عن اللغة العربية كلمات وقواعد نحوية عديدة. وتشكل الكلمات التركية ٣٠ % من اللغة الألبانية والبوشناقية ، ولكن هذه اللغات وهذه الأعراق ليسوا من أصل واحد.

الأتراك قديماً اختلطوا بالمغول في الشمال الشرقي من قارة آسيا طيلة ألوف من السنين. ويرجع الطابع المنغولي المعتدل لبعض القبائل من الأتراك على الأرجح إلى هذا الاختلاط الشامل. ولكن هناك قبائل من الأتراك كقبائل الأوغوز (سيأتي ذكرهم) لم يختلطوا بالمغول أو كان اختلاطهم بهم قليلاً فلم يكتسبوا شيئاً من هذا الطابع والذي يتمثل ب بروز عظام الوجنة والعيون الغائرة .

وقد أدى هذا الاختلاط الواسع إلى التردد في تعيين نسب بعض القبائل ولغتها بين التركية والمغولية . إذ نرى قبيلة ما تتكلم بالتركية على مر القرون إلا أنها تنصهر في بوتقة المغول عند انتشارها في المناطق العائدة لهؤلاء ، وكذلك الأمر بالنسبة لقبيلة قيات التي ينتسب إليها جنكيز خان إذ يرجح الكثير من المؤرخين بأنها قبيلة تركية اكتسبت الطابع المغولي على مر العصور .

ومن المفيد أن نذكر أنه لا يوجد قوم على الإطلاق ولا لغة كيف ما كانت تكون خالصة صافية وإن أي قومية محكوم عليها بالانقراض إذا ما عاشت في عزلة عن باقي الأقوام . وكذلك الأمر بالنسبة لكثير من اللغات ، فإن لغات متكاملة حية مثل الإنجليزية والفرنسية قد بنيت على كلمات أجنبية بنسبة تسعين بالمائة .

ويذهب الكثير من المؤلفين إلى أن العرق يستند على اللغة أولاً والثقافة ثانياً . وبهذا فإن انتساب الفرد إلى عرق معين وتسميته لشخص ما بالتركي أو الألماني أو الصيني إنما يبنى على نطق الزمرة التي ينتسب إليها ذلك الشخص بالتركية أو الألمانية أو الصينية دون الالتفات إلى أصل تلك الزمرة واختلاطها مع باقي الأمم . وتعمل اللغة على تأسيس الوحدة الثقافية وإلى مفهوم الأمة وبالتالي فالشخص الذي يتكلم بلغة جديدة ناسياً اللغة التي كان والده أو أجداده يتحدثونها يكون قد انتسب إلى لغة جديدة وأمة جديدة . فإذا تبنى ثقافة تلك الأمة التي ينطق بلغتها يكون قد فقد صلته باللغة التي كان أباه يتحدثون بها قطعاً . وقد تكون هذه القاعدة ذات استثناءات . إلا أن كثير من المؤرخين يرون صحة هذا الأمر بالنسبة للتاريخ التركي .

بلاد الأتراك التاريخية وتركستان :

الأجداد الأوائل للأتراك " البروتو - ترك " سكنوا في البقاع الواقعة بين جبال تنغري وألتاي في إقليم جونغاريا والتي يقع شمال تركستان الشرقية " أقصى شمال شرق الصين " ، وقد كانوا يظهرون علامات التوسع إلى الجهات الأربع "١" .

تحرك الأتراك وانتقلوا إلى مناطق أخرى وتدرجياً مع الوقت انتشروا في المنطقة المسمية تاريخياً بـ " تركستان " وتعني : بلاد الترك ، وسميت هذه المساحة ببلاد الترك نظراً لانتشار الترك عليها . وقد ذكرت تركستان لدى الفرس باسم بلاد توران " طوران " ، وذلك نسبة للكلمة الفارسية تور والتي تعني تركي وجمع الكلمة بالفارسية توران . لذا ، تعرف تركستان أيضاً باسم طوران ، والتي تشير أيضاً إلى بلاد الترك . وقد ذكر في التاريخ الإسلامي مصطلح " بلاد ما وراء النهر " للدلالة على بلاد الترك ، والنهر المقصود هنا هو نهر جيحون (أموداريا) ، والوصف هذا حقيقة ليس بدقيق ، فهو لا يصف إلا جزء من تركستان "١" .

وحدود تركستان التي ذكرت قديماً غير دقيقة، والواقع أنها أكبر وأوسع مما ذكر ، ولكن من باب الإحاطة بالشيء نذكر ما ذكر تاريخياً ، فتركستان (طوران) التاريخية تمتد من بحر الخزر (بحر قزوين) في الغرب إلى جبال ألتاي في الشرق ، ومن خراسان وصحراء قرة قورم في الجنوب الغربي (تركمنستان) إلى جبال الأورال و سيبيريا (روسيا) في الشمال والشمال الشرقي . وتقع التركستان في وسط آسيا ، وتحدها سيبيريا ومنغوليا شمالاً ، وأفغانستان وكشمير والتبت جنوباً ، والصين شرقاً ، وإيران و بحر قزوين غرباً .

التركستان التاريخية قد فتحت في أوائل العصر الثاني قبل الميلاد ولكنها لم تكن بعد وطناً للأتراك وأصبحت وطناً دائماً للأتراك منذ القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين في عهد الإمبراطورية القاراخانية التركية (سيأتي ذكرهم لاحقاً) وذلك بعد طردهم للإيرانيين إلى الجنوب الغربي من تركستان .

وتركستان التاريخية الموضح حدودها بالأعلى ، مقسمة إلى قسمان :

- ١- تركستان الشرقية (أويغورستان) : تحت الاحتلال البربري الصيني ، وتعرف لدى الصينيين باسم (سينكيانغ) ، أي : المستعمرة الجديدة .
- ٢- تركستان الغربية : وهي مقسمة لخمس جمهوريات هي : أوزبكستان ، وكازخستان ، وطاجيكستان ، وتركمينستان ، وقرغيزستان .

تلك كانت الحدود التاريخية لتركستان ، لكن الأصح أن تركستان تمتد من الصين شرقاً وحتى أوروبا غرباً ، وتنقسم إلى خمس أقسام :

- ١- تركستان الشرقية (أويغورستان) : سبق ذكرها .
 - ٢- تركستان الوسطى : وتشمل الجمهوريات التركية الخمس (: أوزبكستان ، وكازخستان ، وطاجيكستان ، وتركمينستان ، وقرغيزستان) والتي كانت تصنف إلى تركستان الغربية .
 - ٣- تركستان الشمالية : وهي مناطق واسعة محتلة من قبل الروس ، وقد قسموا أغلبها إلى مناطق إدارية صغيرة ، مهملين أجزاء كبيرة أخرى من مساحتها الأصلية ، حتى تكون ذات مساحات صغيرة في حال الاستقلال ، وأغلبها اليوم على شكل جمهوريات صورية في الإتحاد الروسي ، والسلطة فيها والإدارة لروسيا ، وهذه الجمهوريات هي : (جمهورية ساخا " ياقوتستان " ، جمهورية توبا ، جمهورية خقاسيا ، جمهورية ألتاي ، جمهورية بشكيرستان ، جمهورية تترستان ، جمهورية تشوفاشيا) .
 - ٤- تركستان الجنوبية : تشمل شمال أفغانستان .
 - ٥- تركستان الغربية : وتشمل أذربيجان الجنوبية المحتلة من قبل إيران وتقع في شمالها ، وبعض المناطق في القوقاز كجمهورية أذربيجان ، والمناطق المحتلة من روسيا وهي على شكل جمهوريات صورية ، وهي : (جمهورية كبادينو – بلقاريا ، و جمهورية كراتشاي- تشركسيا) ، وشبه جزيرة القرم المحتلة من أوكرانيا ، وقربها جمهورية جاجوزيا المحتلة من مالدوفا وآسيا الصغرى " الجمهورية التركية " ، وشمال العراق .
- وسأتي الحديث عن الجمهوريات التركية بشكل مختصر لاحقاً .

القبائل التركية :

تنقسم القبائل التركية لقبائل كثيرة ، وقد حصل بينها تداخل كبير على مر الأزمان . وهناك عدة تقسيمات وأفضلها التقسيم المبني على التشابه في اللهجات وفي العادات بشكل كبير ، وبناء على ذلك فإن القبائل التركية تنقسم لأربع

"١"- جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي في مادة (ما وراء النهر) - الجزء الخامس ، ص ٤٥ : " ما وراء النهر يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان ، فما كان في شرقيه يقال له " بلاد الهياطلة " ، وفي الإسلام سموه " ما وراء النهر " . وما كان في غربيه فهو " خراسان " ... وما وراء النهر من أنزه الأقاليم وأخصبها وأكثرها خيراً ، وأهلها يرجعون إلى رغبة في الخير والسخاء واستجابة لمن دعاهم إليه مع قلة غائلة وسماحة بما ملكت أيديهم مع شدة شوكة ومنعة وبأس " .

أقسام رئيسية ، وهي :

- أ- الأوغوز Oghuz : عرفوا في المصادر العربية باسم " الغز " ، وهم من أهم وأكبر القبائل التركية ، ومنهم الانتلاف العشائري الذي ظهر بارزاً في تاريخ القرن الرابع الهجري تحت اسم التركمان " ١ " . والأوغوز قبيلة تنقسم إلى أربعة وعشرين فرعاً كما ينقسم كل فرع إلى شعب " ٢ " .. أول من أحصاها في المراجع المكتوبة بالعربية هو العلامة الكاشغري في كتابه الفريد " ديوان لغات الترك " " ٣ " . والأتراك الذين يندرجون تحت هذا القسم هم :
- ١ . أتراك الجمهورية التركية (السلاجقة ثم العثمانيين سابقاً) وهم من الأتراك الأوغوز والذي اختلط قسم منهم بقوميات عديدة ، كالعرب والأرمن والجورجيين و اليونانيين والأكراد والقوقازيين وغيرهم ، ويتوزعون في الأناضول " تركيا " وشمال قبرص وكثير من الدول الأوروبية وعلى رأسها ألمانيا وفي الولايات المتحدة وكندا وكثير من الدول حول العالم . والالتباس الذي يحصل لدى الكثيرين ، بسبب تسمية الجمهورية التركية باسم العرق وهو العرق التركي ، ومع مرور الوقت ظن الكثيرين أن التركي هو مواطن الجمهورية التركية فقط ، وهذا غير صحيح ، فهم ليسوا وحدهم الأتراك بل هم جزء من الأمة التركية الكبيرة . واسم " تركيا " أطلق على الأناضول لأول مرة من قبل المؤرخين البيزنطيين عام ١٠٨٥ م (القرن الحادي عشر الميلادي) والتي تعني بلاد الأتراك ، وذلك بعد اكتمال فتح الأناضول على يد القائد البطل الغازي السلطان سليمان شاه الأول قوتالمش السلجوقي عام ١٠٨٣ م .

" ١ " - التركمان ، اسم أطلق علي قسم من قبائل الأوغوز (الغز) ، وأصل كلمة " تركمان " مختلف فيه ، فيرى العلامة الكاشغري في كتابه " ديوان لغات الترك " أن أصل كلمة " تركمان " هي الكلمة الفارسية (ترك مانند Turk-manand) وتعني " أشباه الترك " ، لأن التركمان كانوا أقرب الأتراك شبيهاً بالإيرانيين من حيث الملامح والسمات . ويؤيد هذا التفسير ثلاثة من أقرب العلماء إلى الترك أصلاً وموطناً ومعرفة بأحوالهم ولغاتهم وهم :

- العالم أبو الريحان البيروني (الخوارزمي) - المتوفي عام ٤٤٠ هـ .
- العالم الطبيب الفارسي مؤرخ المغول " رسيدي الدين الهمداني " المتوفي عام ١٣١٨ م .
- الملك التركي المؤرخ حاكم خيوه (خوارزم) أبو الغازي بهادر خان (توفي ١٦٦٣ م) الذي شرح في كتابه " شجرة التراكمة " (أي شجرة نسب التركمان) بأن التاجيك (الإيرانيين) كانوا أولاً يُسمون التركمان الذين سكنوا في ما وراء النهر أتراكاً ، ومع مرور الوقت فإن سمات هؤلاء وملامحهم تغيرت أكثر فأكثر نحنو من يعايشونهم من الإيرانيين (التاجيك) .. من أجل ذلك فإن التاجيك عادوا فأطلقوا عليهم لقب " التركمان " بمعنى " المشابهين للترك أو أشباه الترك " .

وتروي بعض المصادر (ومنها الكاشغري نفسه) بأن كلمة " تركمان " تسمية يونانية أطلقها الإسكندر المقدوني على القبائل التركية الرحل التي واجهها في أثناء فتوحاته الشهيرة في بلاد ما وراء النهر ، ثم تداولها المؤرخون من بعد . (راجع كتاب تاريخ الترك في آسيا الوسطى - بارتولد - ص ٩٣) .

كلمة تركماني تستخدم اليوم للدلالة على الأتراك الرحل من الأوغوز أو الذين يعيشون خارج الجمهورية التركية ، أما الأوغوز المتمددون فيطلق عليهم لفظ أترك .

" ٢ " - تنتسب هذه الفروع إلى أبناء أوغوز خان (مؤسس دولة الهون التركية الأولى) الستة : كون ، آي ، يلدز ، كوك ، داغ ، دينيز . يسمى الاثنا عشر فرعاً منهم (بوزوق) والاثنا عشر الأخرى (أوج أوق) ، وفروع الأوغوز المار ذكرها هي ما يلي :

- الوزاوق : وينتسبون إلى أبناء أوغوز خان (كون خان ، آي خان ، يلدز خان) وهم : قايي ، الليات ، الكايو ، قارا ايو ، يازر ، دودورغا ، دوكر ، يابالي ، أوشار ، بغديل ، قزيق ، قارقن .
- أوج أوق : وينتسبون إلى أبناء أوغوز خان (كوك خان ، داغ خان ، دينيز خان) وهم : قتيق ، بايندر ، بجنك ، جاولدور ، جبني ، سالغور ، ايمور ، الايونتلي ، يوره كير ، ايغيدير ، بوغوز ، يوا
- " ٣ " - محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري ، ولد عام ١٠٠٨ م ، وهو أمير من أمراء القراخانيين و عالم و مؤرخ مسلم من مدينة كاشغر وهو من التركمان الفارلوق ، وعالم بأنساب الترك ولغاتهم ، ألف كتبه بالعربية ومنها " ديوان لغات الترك " طبع بالآستانة في ٣ مجلدات سنة ١٣٣٣ هـ ، وتوفي سنة ١١٠٢ م .
- ولد الكاشغري في منطقة كاشغر وهي عاصمة تركستان الشرقية سابقاً ، وقد هاجر منها إلى العراق .
- خلال إقامته في بغداد قام الكاشغري بكتابة كتابه ديوان لغات الترك في عام ١٠٧٢ م وأنهاه في ١٢ فبراير ١٠٧٤ م ، وقام بمراجعته أربع مرات ، وقد استغرقت هذه الفترة عامين كاملين إلي أن أنجزه بشكله النهائي عام ١٠٧٦ م . وقد قام بإهداء انجازه إلي نجل الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله ، الأمير أبو القاسم عبدالله .

- ومنذ ذلك الوقت أصبحت الأناضول تعرف بـ "تركيا" "١".
- إذاً ، من أطلق علي تركيا هذا الإسم أول مرة هم البيزنطيون ، وليس الأوغوز الأتراك أنفسهم .
٢. أترك اليورك Yörük: هؤلاء في الأصل قبائل رحل ، وقد استقر البعض منهم ، ولكن هناك قسم منهم ما زال على حياة الترحال . يتواجدون في مناطق الأناضول الجبلية (تركيا) ، وهناك قسم منهم في البلقان ، وتحديداً في : مقدونيا ، ألبانيا ، اليونان و بلغاريا . اسمهم مشتق من الفعل المصدر في التركية " يرحل " أو " ينتقل " ، لذا سموا باليورك وهي تعني الرحل .
٣. أترك الزيبك Zeybek : هم فرع من قبائل اليورك الرحالة ، ويسكنون غرب الأناضول .
٤. أترك جمهورية تركمانستان .
٥. أترك جمهورية أذربيجان .
٦. تركمان سوريا والعراق .
٧. تركمان الأردن .
٨. تركمان أفغانستان .
٩. تركمان إيران .
١٠. أترك شمال إيران من الأذر ، ومركزهم مدينة تبريز .
١١. الأتراك الجاجوز ويعيشون في إقليم جاجوزيا المحتل من قبل المالدوفا ، وأصلهم مختلف فيه فالبعض يرى أنهم من بقايا السلاجقة الأتراك والبعض الآخر يرى أنهم من الأتراك البلغار .
١٢. أترك البلقان ، ويتوزعون في عدة دول ، وهي : ألبانيا ، البوسنة والهرسك ، بلغاريا ، اليونان ، مقدونيا ، رومانيا ، وإقليم كوسوفا .
١٣. المسخيتيين الأتراك ، هؤلاء يتوزعون في عدة دول : (أذربيجان ، كازخستان ، روسيا ، تركيا ، قيرغيزستان ، الولايات المتحدة الأمريكية ، أوزبكستان ، أوكرانيا ، جورجيا) ، وهم من القوميات التركية المضطهدة .
١٤. أترك جمهورية داغستان من الأذر .
١٥. الأتراك القشقاوي : قبائل من التركمان في جمهورية إيران يستوطنون مدن شيراز وأصفهان لاسيما الجزء الشمالي من محافظة فارس في جنوبي إيران. ينضون في عدة قبائل رعوية ، ولهجتهم أقرب إلى اللهجة الأذرية التركية .
١٦. أترك الخلاج ، ويتوزعون بين إيران وأفغانستان .
١٧. أترك الافشار : من أقوى القبائل التركمانية الموجودة في إيران ، كان لها دور كبير في مجريات التاريخ الإيراني ، فمنها تشكلت القوة الأساسية في جيوش الصفويين الأتراك (سيأتي ذكرهم) ، ومنها تكونت كتائب التحرير ضد الاحتلال الأفغاني لإيران ، ومنها أيضاً كانت الكتلة الأقوى والأكثر فاعلية في الجيش القاجاري (سيأتي ذكر "القاجار " لاحقاً) .
١٨. الأتراك الخراسانيين في إيران .
١٩. السالار : يعتقد السالار أنهم من نسل الأوغوز الأتراك الذين اختلطوا بالصينيين المتحدثين باللغة التبتية ، وبالتبتين وغيرهم من القوميات الصينية . وهم أصغر الأقليات المسلمة العشر في الصين، إذ لا يتجاوز تعدادها مئة ألف نسمة يقطنون في مقاطعة تشين خاي شمال غرب الصين، وتتمتع بلدتهم شونخوا بالحكم الذاتي. يتحدثون اللهجة التركمانية ولكن المتأثرة بعدة لهجات تركية أخرى كاللهجة الكازخية والأويغورية والمتأثرة أكثر وبشكل كبير بالقوميات الأخرى كالتبتيين والصينيين .

ب- القارلوق/أويغور Karluk/Uygur : وهي مجموعة تحوي تحتها عدة فروع :

١. القارلوق Karluk (الأوزبك Uzbek) : يسميهم الصينيون (كو - لو - لو) و يسميهم العرب " قارلوق " أو " خارلوق " ، وأهم قبيلة للقارلوق هي الجيغيل . وهم من أجمل الترك وأتمهم قامه وأكثرهم شجاعة وقد عرفوا عبر التاريخ بالتركمان بجانب قبائل الأوغوز ، وهم من سلالة أحد القادة المحاربين في جيش القائد أوغوز خان (مؤسس الإمبراطورية التركية الهونية وجد قبائل التركمان) ، وقد ذكر اسمه في أسطورة أوغوز خان ، وذلك عندما هرب فرس الأوغوز خان إلى الجبال فذهب قارلوق وأحضره ولم يكن عندها يحمل لقب قارلوق ، ولكنه عندما عاد من الجبال إلى الأوغوز خان ومعه الفرس ، كان الثلج ما يزال متراكماً على جسده فلقبه الأوغوز خان بـ " قارلوق " ، وتعني الثلجي (Kar قار = ثلج ، و luk

لوق = للتمليك ويقابلها في التركية الحديثة لي ، لو " lu lü li ") . ويعتقد أن القارلوق من أحفاد الهياطلة (الهون البيض) وقد ساهموا قبل إسلامهم (كانوا شامانيين) في الانتصار الذي حققه العرب المسلمون في معركة طلاس (Talas) عام ١٣٣ هـ \ ٧٥١ م حين تحالفوا مع المسلمين ضد الجيش الصيني . وقد أسس القارلوق لأنفسهم عبر التاريخ عدة دول مهمة : إحداها قبل إسلامهم في حوض التاريم ثم أقاموا دولتين مسلمتين قويتين فيما بعد : الأولى كانت دولة القراخانيين العظيمة (الأفراسيابية) ، والأخرى الدولة الخلجية التي حكمت قسماً كبيراً من الهند ، وسميت على اسم ابرز قادتها وهو علاء الدين الخلجي ، لذا عرف القارلوق أيضاً بـ " الخلاج " أو " الخلجيون " (وهم غير الخلاج التركمان) .

معظم سكان أوزبكستان الحالية هم من الأتراك القارلوق ، وقد عرفوا بالأوزبك (كلمة أوزبك تعني = الحر المستقل) بعد سقوط حكم التيموريين (حكم إمبراطورية تيمور لنك) عام ١٥٠٠ م ، وأصبحت هذه التسمية فيما بعد أساساً قومياً لما يعرف اليوم بـ " أوزبكستان " . ولتسمية القارلوق بالأوزبك قصة ، وهي أن الشيبانيين الذين حكموا بعد التيموريين بقيادة أبو الفتح محمد خان الشيباني ينتسبون إلى " خانات القبيلة الذهبية " (التركية المغولية " ١ ") والتي أطلق مؤرخو القرن الخامس عشر الميلادي على شعبها اسم " شعوب الأوزبك " ؛ نظراً لشهرة أحد خاناتها (حكامها) وهو أوزبك خان ؛ وذلك لكثرة أسفاره إلى طرف أنريجان وخراسان ، وحروبه الشهيرة مع الإيلخانيين (المغول) ، فكثرت تداول عبارات " جاء الأوزبك " و " هجم الأوزبك " . وبقي هذا الاسم علماً لتلك الديار مدة من الزمن ، وعندما سيطر الشيبانيون على مقاليد الأمور في بلاد ما وراء النهر واستقروا فيها غلب عليهم هذا الاسم . وعندما اضمحلت " القبيلة الذهبية " بالتدرج وفقدت أجزاءها المختلفة ، لم تعد كلمة أوزبك في جنوبي روسيا علماً على أمة أو دولة ، بل صارت تدل على القبائل التي هاجرت إلى تركستان وحكمت ، فعرف الشعب هناك أيضاً بهذا الاسم .

وقد اختلط القارلوق بكثير من القبائل الأخرى بسبب المجاورة وبسبب الحكم ، ومنها التركية وأيضاً غير التركية كالفرس (إيرانيين وتاجك) و كالمغول ، فأكتسب القليل منهم بعض السمات من تلك الأقوام وخاصة المغولية منها ولكن بشكل معتدل ، ويشبه طابع القارلوق طابع أتراك الأناضول الحاليين .

يتوزع الأوزبك (القارلوق) بجانب أوزبكستان في كلا من : أفغانستان (يتواجدون في شمال أفغانستان ، ويتوزعون في عدة مدن منها : قندز ، مزار شريف ، سمنكان ، شبرغان ، بغلان ، أكتشا ، طلقان ، وغيرها من المدن) ، طاجكستان ، قيرغيزستان ، كازخستان ، تركمانستان ، روسيا ، الصين ، أوكرانيا ، بريطانيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، السعودية . ويعيش حالياً في تركستان الأفغانية (شمال أفغانستان) قبيلة أوزبكية تسمى القارلوق ولاشك أنهم ينتسبون إلى القارلوق القدامى .

ملاحظة : بعض كبريات قبائل الباشتون الأفغانية هي من أصل تركي ومنهم القارلوق ، غير أنها هجرت لغتها مع مرور الزمن وذابت في الشعب الأفغاني (أصلاً البشتون) ؛ مثلاً قبيلة

" ١ " - سما بـ " الأتراك المغول " ، نظراً لأن الحكام ونفر قليل من الجنود هم من المغول ، من نسل جوشي (جوجي) بن جنكيز خان ، وأغلب الجنود والشعب من الأتراك القبقاق ، فصاروا غالباً من الأتراك . وكما هو معلوم هناك اختلاف بين المؤرخين على نسب القائد جنكيز خان (تيموجين Timuchin ؛ هذا اسمه الأصلي ومعناه الفولاذ الخالص . وأما " جنكيز خان " فلقبٌ منح له عند تنصيبه ملكاً على جموع " القبائل التركية - المغولية " التي قام بتوحيدها وإخضاعها لإمرته في منغوليا) الأصلي ، فبعضهم قال مغولي الأصل ، ولكن الأغلب يرجح أنه من قبيلة " قيات " التركية ، والتي عاشت بين المغول واكتسبت الطابع المغولي على مر العصور . وقد كان جنكيز خان أشقر عسلي العينين ، وكما هو معلوم فإن هذه الصفات لا تتوفر في المغول بل هي من صفات الترك الاعتيادية . وجنكيز خان من الشخصيات التاريخية العظيمة والمحدودة ، فقد ترك إمبراطورية عظمى يحير لها العقل لا بالنسبة لذلك العصر الذي كانت المواصلات فيها شاقة بل حتى بالنسبة ليومنا الحاضر . وقد توسعت هذه الإمبراطورية في القرن الثالث عشر بحيث أصبحت فيما بعد تغطي على معظم أرجاء العالم آنذاك .

ملاحظة : على الرغم من عظمة إمبراطورية المغول إلا أنها لا تحتل في التاريخ المكانة التي احتلتها الإمبراطورية العثمانية التركية وإمبراطورتي روما وبريطانيا ؛ لأنها اندثرت بسرعة وانقسمت إلى أربع إمبراطوريات اكتسبت ثلاثة منها الطابع التركي إلا أنها لم ترق إلى مصاف الإمبراطوريات الثلاث المذكورة . إلا أن سلالة جنكيز خان هي من أعظم سلالات التاريخ فسلالات كثيرة من الدول التركية تنتسب إلى جنكيز خان . واختلطت دماء سلالاته بكل سلالة تركية .

أبدالي (عبدالي) – أكبر وأهم قبائل البشتون – وقد تسمت في البداية بهذا الاسم ولكنها بعد ذلك تسمت باسم أحد قادتها الأفاض وهو القائد العسكري " أحمد شاه درّئي " فسميت بـ " الدرانية " ، وتحدّر هذه القبيلة من الهياطلة (كما سبق وذكرنا يعتقد أن القارلوق من من أحفاد الهياطلة " الهون البيض ") ، وكذلك هناك قبيلة كيلزاي (= غلجائي) هي من الأتراك القارلوق " الخلق " .

٢. الأويغور Uyghur : هم بقايا الأتراك القدماء والذين عرفوا بهذا الاسم ، ويرجع الإيغور إلى القبائل التركية الرحل والذين عاشوا في بداياتهم قرب بحيرة بايكال جنوب سيبيريا ، وقد كانوا في البداية من قادة ورعايا إمبراطورية الهون العظيمة وبعد ذلك أقاموا إمبراطورية واسعة عرفت باسمهم وذلك عام ٧٤٥ م ، وقد تقلصت إمبراطوريتهم وذلك عام ٨٤٠ م وذلك بعد إخراجهم من قبل القرغيز من مغولستان ، فنزحوا إلى تركستان الشرقية ، والتي كانت مسكونة من قبل قبيلة الباسملي التركية عند نزوحهم إليها . وعاصرت إمبراطوريتهم الدولة العربية الإسلامية وعرفت عند المؤرخين العرب بدولة التُّغُرْ (تحريفاً للكلمة التركية توقوز-أوغوز = وتعني قبائل " الأوغوز التسعة ") ، ويعيش معظمهم الآن في تركستان الشرقية " شنجيانغ " المحتلة من قبل الصين (وتقع في الشمال الغربي منها) والتي تضطهدهم وتستغل مواردهم الغنية جداً بالمعادن واليورانيوم والذهب والبتروول وغيرها . وقد قسم الصينيين تركستان الشرقية (أويغورستان) إلى ثلاث مديريات ، الأولى " شنجيانغ " والثاني " شنغهاي " (تعني النور الأخضر) والثالث " كنسو " ، ويتوزع الباقي من الأويغور بشكل أساسي في الدول التالية : (كازخستان ، قيرغيزستان ، أوزبكستان ، تركيا ، تركمانستان ، روسيا ، طاجكستان ، باكستان ، السعودية) وغيرها من الدول . الأيغور أكثر تأثراً من الأوزبك (القارلوق) بالطابع المغولي على هيئة العيون الغائرة وعظام الوجنة البارزة . وقد نتج هذا عن اختلاطهم بالمغول والصينيين .

٣. الأويغور الصفّر Yellow Uyghurs : ينحدرون من أتراك الـ " كوك تورك " (سيأت الحديث عنهم) ، وينقسمون إلى قسمين : غربي وشرقي فالقسم الغربي منهم يتحدث الأويغورية التركية العائدة للقرن التاسع عشر ، والشرقيين منهم يتحدث المنغولية ، وبعضهم يتحدث التبتية .

استقروا في إقليم قان صو شمال الصين بعد خروجهم من منغوليا نتيجة إستيلاء القرغيز عليها ، واسسوا مملكة صغيرة حيث استقروا وقد كانت تابعة للدولة التركية الكبرى ، ودامت ثمانية وستين ومائة عام من سنة ٨٩٠ م وحتى سنة ١٠٢٨ م ، حيث دخلها التانغوت وخضعت للسيطرة الصينية . كان الأويغور الصفّر يدينون الديانة المانية (دين ذو مذهب أخلاقي ، يحرم قتل الانسان بل وحتى الحيوان ، أوجده الفيلسوف الإيراني ماني) فتركوها واعتنقوا البوذية والتي لازال قسم كبير منهم عليها . اليوم يسكنون في " سوجوف " و " كاجوف " في إقليم قان صو . وقد وجد العالم الروسي مالوف (النون – ياروق – سوترا) وهي من أكبر النصب التركية في بداية عصرنا بين الأويغور الصفّر .

ت- القبجاق (الكيبيشاك) Kypchak

والمجموعة سميت باسم أحد اكبر القبائل في المجموعة وأكثرها تأثير على البقية والمجموعة تحوي عدة فروع ، ولكن بداية علينا توضيح بعض الأمور :

- التتار : بداية كلمة التتار لفظ كان يطلق – قديماً ، منذ القرن الخامس الميلادي – على مجموعة قبلية تركية قح (فالتتار أتراك وليسوا مغولاً) ، كانت تعيش في الشمال الشرقي من إقليم منغوليا وحول بحيرة بايكال . وكان هؤلاء مشهورين بقوتهم وشدة بأسهم ، حتى بين بقية الأتراك أنفسهم ، ولذلك طالما استعان بهم كبير من أباطرة الصين ضد أعدائهم الشماليين من بقية ترك والمغول . وكان التتار على عدااء دائم مع جيرانهم المغول ؛ وكانت لهم الغلبة الدائمة على المغول .. حتى ظهر جنكيز خان ، الذي اخضع التتار تماماً ثم أدخلهم – كعنصر أساسي – في جيوشه الجارّة . ولذلك غلب اسمهم الشهير على قادتهم المغول الفاتحين على الرغم من كره المغول لهذه التسمية وكرههم للتتار " ١ " .

١١ - " للإستزادة انظر :

-الموسوعات الالكترونية البريطانية : (Britannica – Encarta) .

- من هم التتار ؟- أبرار كريم الله ، ترجمة وتعليق : د.رشيدة رحيم الصبروتي - ص ٢٥ وما بعدها - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- **القبحاق Kipchaks** : هي قبيلة تركية قديمة جداً عرفت بعدة مسميات ، منها :
" الكيشاك " و " قفجاق " و " كومان " . و قد قيل أن سبب تسميتهم بـ " القبحاق :
(أن أحداً من مقربي القائد أوغوز خان (مته خان) مات في بعض مغازيه وبقيت
زوجته حاملاً ولما حان وضع حملها لم تجد بيتاً تضع فيه حملها وكان الجو بارداً ،
فدخلت جوف شجرة مجوفة ووضعت فيه حملها ولما بلغ ذلك مسمع أوغوز خان سمى
الولد المذكور بـ " قبحق " لتسمية قدماء الأتراك الشجرة المجوفة به ، وضمه إلى نفسه
ورباه مع أولاده " ١ ") .
القبحاق أصلاً بطن من بطون قبيلة التتار التركية القديمة التي نشأت كما سبق وذكرنا في
منغوليا ، ولكنهم انفصلوا عن بقية القبيلة الكبيرة (التتار) في القرن التاسع الميلادي ،
وارتحلوا إلى غرب سيبيريا على طول نهر إيرتيش (يعني النهر الأبيض) وانضموا
تحت لواء تحالف قبلي تركي سمي بالكيماك " ٢ " ، ثم في القرن الحادي عشر انفصلوا
عن التحالف (الكيماك) ثم ساقوا قبائل من الأوغز التي كانت أمامهم واتجهوا إلى
جنوبي روسيا واستوطنوا السهوب الواقعة جنوب روسيا (بداية من بحيرة بالخاش
وحتى بحيرة آرال في كازخستان حالياً) ومروراً بنهر الفولغا وحتى شمال القوقاز
(المنطقة الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود) وقد انصاعت لهم قبيلة البجناك
والتي كانت تسكن تلك المناطق " ٣ " ، وقد عرفت المناطق الواقعة شمال البحر الأسود
(جنوب غرب روسيا حالياً وأوكرانيا) بعد ذلك باسمهم " دشت قبحاق " أي
" إقليم القبحاق " .
بقي هؤلاء القبحاق سادة هذا الإقليم حتى قدوم جيوش المغول (وأغلبهم من التتار أقرباء
القبحاق) الذين دمروا تحالفهم ثم ادخلوهم كرعايا ضمن القبيلة الذهبية (أي القسم
الأوربي من إمبراطورية جنكيز خان) .
كان إقليم القبحاق مصدراً أساسياً للرقيق الأبيض (المماليك الأتراك) الذي كان تستورده
البلاد الإسلامية لبناء جيوش قوية من هذا الشعب المحارب .
ومن هؤلاء القبحاق كان معظم المماليك البحرية الذين لعبوا دوراً هاماً جداً في التاريخ
الإسلامي : فمنهم عدد من أعظم أبطال التاريخ الإسلامي أمثال : الظاهر بيبرس –
فارس الدين أقطاي – المنصور قلاوون – وابنه الناصر محمد بن قلاوون وغيرهم ...
ومما يجدر ذكره أن المؤرخ الكبير يلمز أوزطونا ذكر أن " أشراف الرومان الذين
يطلق عليهم اسم بويار ، وكثير من أشراف الأوكران والمجر وعائلاتهم المشهورة ، من
أصل أتراك القبحاق وشجرة عائلاتهم معلومة بشكل لا يقبل الشك . وأساساً فإن أسماء
عائلاتهم أسماء تركية ويبلغ عدد هذه العائلات من الشرفاء الأتراك المئات . " ٤ " .
- **البلغار** : هم شعب تركي من بقايا دولة بلغاريا العظمى " ٥ " ، والتي سقطت وتفككت
على يد قبائل الخزر التركية . وقد انقسموا إلى عدة أقسام :
١) قسم بقي منهم في مناطقهم فذابوا مع مرور الزمن في الشعب الشقيق لهم من حيث
اللغة والجذور (الخزر) ، وفقدوا اسمهم الحقيقي ..
٢) قسم من البلغار ذهب إلى حوض نهر الدانوب حيث حكموا ما يقرب من مائتي سنة
، ثم ذابوا بين الشعوب السلافية ، لكنهم احتفظوا باسم البلغار الذي يطلق الآن على
دولة بلغاريا الحديثة .

" ١ " - انظر : تليفق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار – م.م. الرمزي – علق عليه ووضع
فهارسه : إبراهيم شمس الدين . المجلد ١ ، ص ٢١٥ – دار الكتب العلمية .
" ٢ " - حلف قبلي مؤلف من القبحاق وغيرهم ، انفصل عنهم القبحاق ، وبعد ذلك طردوا من أماكن تواجدهم على
طول نهر " إيرتيش " من قبل بعض القبائل المغولية ، ورحلوا للغرب واستوطنوا المنطقة التي تكون الآن إحدى
الكيانات الفدرالية المسمى بـ " أستراخان أوبلاست " (التي تعتبر جزء من إقليم القبحاق وقتها) وذلك حتى
اجتياحها من قبل الجيش المغولي وتكوين القبيلة الذهبية ، وبعد انقسام جزء من المغول عن القبيلة الذهبية والذين
عرفوا فيما بعد بـ " النوغاي " اتحد الكيماك معهم .
" ٣ " - البجناك ، سيأتي ذكرهم عند الحديث عن الدول التركية .
" ٤ " - انظر تاريخ الدولة العثمانية ، يلمز أوزطونا – الجزء الأول ، ص ٣٧ - ٣٨ .
" ٥ " - دولة بلغاريا العظمى قامت في القرن السابع الميلادي ، وقد ضمت : شواطئ البحر الأسود وحوض نهر
الدون وبحيرة أزوف ومناطق القوقاز الشمالية وشبه جزيرة الأناضول .

- (٣) قسم توغل داخل جبال القوقاز فأصبح معروفاً اليوم باسم " البلكار القراشاي " .
- (٤) قسم اتجه إلى الأناضول ومصر .
- (٥) قسم ذهب إلى المناطق حول نهر الفولغا (نهر في روسيا اليوم) وتسموا باسمه فأصبح اسمهم " بلغار الفولغا " ، وقد انقسموا إلى قسمين :
- قسم اختلط بإخوانهم من القبجاق الأتراك ، وهؤلاء هم تتار قازان .
- قسم لم يختلط بالقبجاق ، وهؤلاء هم البلغار " الجواشيون " .
- القبيلة الذهبية (الطون أوردي) : وتسمى بالإنجليزية "Golden Horde" ، وبالتركية "Altın Orda" ، وهي دولة عظيمة أسسها " باتو بن جوجي بن جنكيز خان " وكانت عاصمتها مدينة سراي والتي بناها باتو بنفسه "١" ، وقد بنى " بركة خان " بعد " باتو " مدينة سراي الجديدة في المنطقة نفسها واتخذها عاصمة لدولته . وقد امتدت الدولة من نهر إيرتيش شرقاً إلى أرض البلغار والفولغا غرباً ، ومن روسيا وبولندا والمجر شمالاً إلى إيران وآسيا الصغرى (تركيا) ، بالإضافة إلى آسيا الوسطى (تركستان) في الجنوب . وقد استقلت عن امبراطورية المغول العظام في عام ١٢٦٠ م . وقد سمو بالقبيلة الذهبية ؛ نسبة إلى خيام معسكراتهم ذات اللون الذهبي . دخل مغول القبيلة الذهبية الإسلام إثر إسلام ملكهم : (بركة خان Berke Khan "٢") الذي أسلم وحسن إسلامه .. بل وقاتل - في سبيل الإسلام - أولاد عمه : هولأكو وغيره من ملوك المغول متحالفاً مع دولة المماليك البحرية المتمركزة في مصر والتي كانت آنذاك قد أصبحت الحصن الأخير للأمة الإسلامية يُعيد سقوط بغداد . ومن أشهر رجال القبيلة الذهبية أيضاً محمد أوزبك خان "٣" ، وبقيت الإمارات الروسية تخضع لحكم القبيلة الذهبية حوالي الثلاث قرون ؛ وكان الأمراء الروس يتبارون في تقديم ألوان الخضوع والطاعة لتتار القبيلة الذهبية ، ويتنافسون فيما بينهم في الإكثار من جبي الضرائب من شعوبهم الروسية (السلاف) لتقديمها عربون خضوع لأسيادهم التتار !!
- وتبقى الأمور على هذا الواقع حتى تدب الخلافات الداخلية على الحكم ، إضافة إلى ظهور قوة جديدة بقيادة القائد تيمورلنك (سيأتي الحديث عنه لاحقاً) والذي أخذ يوجه الضربات للقبيلة الذهبية ، فأصبحت الأوضاع غير مستقرة ، وتقسمت الدولة إلى دويلات (خانات) ، وهيات الفرصة للروس في بناء قوتهم . وبوفاة " أحمد خان بن كوجك محمد " حاكم دولة القبيلة الذهبية عام ١٥٠٥ م تسقط الدولة ، ولكن تبقى بعض

"١" -تقع المدينة على نهر الفولغا في منتصف الطريق بين مدينتي ستالينغراد الحديثة وأستراخان .

"٢" -بركة خان هو أخو باتو خان ووريثه في العرش ، وهو أحد أبناء جوجي بن جنكيز خان السبعة وهم : " باتو ، أورد ، شوبان ، بركة ، جمناي ، بركجار ، توقاتيمر " . دخل 'بركة خان' الإسلام سنة ٦٥٠ هجرية وكان من قبل محباً ومتأثراً بالإسلام بسبب امرأة أبيه 'رسالة' وقد التقى 'بركة خان' في مدينة 'نجاري' مع أحد علماء المسلمين واسمه نجم الدين مختار الزاهدي وكان بركة عائداً لتوه من زيارة عاصمة المغول 'قرة قورم' وأخذ 'بركة' في الاستفسار عن الإسلام من هذا العالم المسلم وهو يجيبه بكل وضوح وسلاسة ، فطلب بركة منه أن يُولف له رسالة تؤيد بالبراهين رسالة الإسلام وتوضح بطلان عقائد المغول والتثليث وترد على المخالفين والمنكرين للإسلام، فألف 'الزاهدي' الرسالة ودخل 'بركة خان' الإسلام إثر قرائتها عن حب واقتناع وإخلاص ورغبة عارمة في نصرته هذا الدين. للمزيد عن بركة خان راجع :

-تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند - أ.د. محمد سهيل طقوش - دار النفائس .

"٣" -هو : محمد أوزبك خان بن طغرل شاه بن منكور تيمور بن طغان بن باطو بن جوجي بن جنكيز خان . حكم مدة ثمانية وعشرين عاماً تقريباً ، وكان ذا بأس شديد وشجاعة فائقة ، عُرف بتدينه ، أثر الفقهاء والفقراء ، وأحب العلماء ، وسمع منهم ، وكان يرجع إليهم ، ويعطف عليهم ، ويتردد المشايخ على مجالسه ، ويُحسن إليهم. وذكر ابن بطوطة ، الذي زاره واجتمع به ، شيئاً من صفاته وخلاله فقال : " وهذا السلطان عظيم المملكة ، شديد القوة ، كبير الشأن ، رفيع المكان ، قاهر لأعداء الله أهل قسطنطينية العظمى ، مجتهد في جهادهم ، وبلاده متسعة ، ومدنه عظيمة منها : الكفا والقرم والماجر وأزاق وسرداق وخوارزم ، وحضرته السرا (عاصمته مدينة سراي) ، وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظماؤها (سلطان المغرب ، وسلطان مصر والشام ، وسلطان العراق وسلطان بلاد تركستان و ماوراء النهر ، وسلطان الهند ، وسلطان الصين ، بالإضافة إلى أوزبك خان) " . رحلة ابن بطوطة المسماة " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " - تحقيق : علي المنتصر الكتاني - الجزء الأول ، ص ٣٦٧ - مؤسسة الرسالة .

الخانات قائمة وهي : خانات قازان وأسترخان والقرم ، وتأسست خانية جديدة في غربي سيبيريا . وهكذا نرى أن العطاء السياسي لفتوح المغول لم يندثر وظل قائماً ، ولكن العلاقات والصلات الجغرافية بين خانات الفولغا والقرم قد انقطعت ، وبقيت أراض واسعة من البلاد من دون حماية ضد هجوم أمراء موسكو . إذ إن الروس لم يهملوا انتهاز الفرص المتاحة لهم ، وبقيادة إيفان الرهيب (الرابع) ، سقطت الخانات تتابعاً بيد الروس : " قازان " عام ١٥٥٢ م و " أسترخان " عام ١٥٥٤ م و " خانية سيبيريا الغربية " عام ١٥٨٤ م ، ولم تبق إلا " خانية القرم " والتي أصبحت تحت النفوذ العثماني ، حتى هزيمة العثمانيين على يد الروس . وبحلول عام ١٧٨٣ م أصبحت القرم من ضمن الولايات الروسية " ١ " . وهكذا انتهت القبيلة الذهبية وانتهت معها السيطرة المغولية .

بعد هذا التوضيح البسيط نورد فروع هذا القسم (القبجاق) ، وهم :

١. البشكرت = البشكر = Bashkir: السكان الأصليون لجمهورية باشكيرستان وهي تحت الاحتلال الروسي ضمن الاتحاد الروسي . يتحدثون اللهجة البشكيرية وهي قريبة من لهجة بلغار (تثار) الفولغا (تترستان) . يتواجدون أيضاً في كلا من : جمهورية تترستان (تحت الاحتلال الروسي وهي من ضمن الاتحاد الروسي) ، أوزبكستان ، كازخستان ، تاجكستان ، أوكرانيا ، قيرغيزستان ، تركمانستان ، بيلاروسيا (روسيا البيضاء) ، لاتفيا ، ليتوانيا .
٢. القره شاي (قراشاي) Karachay : هم أحفاد البلغار الأتراك الذين استقروا في جبال القوقاز بعد سقوط دولة بلغاريا العظمى . وكلمة قره شاي تعني : " البحر الأسود " (كلمة قره = أسود ، وشاي = بحر) ، والشعار الوطني لهم صورة لجبل ألبروز (أعلى قمة في جبال القوقاز " القفقاس " وأعلى قمة في روسيا وأعلى قمة في أوروبا وبالترتيب العاشرة عالمياً) . يتركز معظمهم على أرضهم في جمهورية قرانشاي - تشيركيسيا والتي تقع شمال القوقاز وهي تحت الاحتلال الروسي وهي من ضمن الاتحاد الروسي ، ولكن يتواجدون في عدة دول منها : (كازخستان ، تركيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، سوريا) .
٣. البلكار Balkars : هم أيضاً من أحفاد البلغار الأتراك الذين استقروا في جبال القوقاز بعد سقوط دولة بلغاريا العظمى . وكلمة " بلكار " محرفة من الكلمة الأصل " بلجار " والذي يشير إلى هويتهم . في عام ١٩٤٤ م اتهم ستالين البلكار بالتعاون مع النازيين وقام بإبعادهم عن أرضهم ، ولكن بحلول عام ١٩٥٧ م رجعوا إلى أرضهم بعد السماح لهم بذلك . يعيش معظمهم على أرضهم في جمهورية كبادرينو - بلقاريا ، والتي تقع شمال القوقاز وهي تحت الاحتلال الروسي وهي من ضمن الاتحاد الروسي . ويتواجد عدد منهم في تركيا و سوريا .
٤. الكارايم (كريمين كاريتس أو كراي) Crimean Karaites (Karaim) : أتراك من قبيلة القبجاق التركية . يعيشون في ليتوانيا وغالباً في مدينة " تراكاي " ، ويعتبرون من الأقوام التركية القليلة التي تعتنق وتمارس اليهودية . ويتوزع مجموعات صغيرة أخرى منهم في كلا من : ، بيلاروسيا (روسيا البيضاء) ، أوكرانيا ، روسيا ، بولندا ، إسرائيل ، تركيا ، الولايات المتحدة ، بريطانيا) .
٥. الكاراكالباك Karakalpak : اسم الكارالباك يطلق في التركية بمعنى " القبعة السوداء " (كارا أو قره تعني : أسود في معظم اللهجات التركية ، وكلمة باك يفترض أن تعني قبعة) . الكارالباك تقليدياً أناس بدو رحل وبعضهم ما زال يعيش في خيم يطلق عليها اسم " يورتس " ، وليست كالقوميات الألتائية الأخرى فالخيم (يورتس " ٢ ") للكارالباك ذات أسقف

" ١ " - تلا ذلك أحداث سنذكرها عند الحديث عن تثار القرم لاحقاً .

" ٢ " - اليورتس : خيم جلدية ، يستخدمها الرحل من الشعوب الألتائية في الأراضي الممتدة من آسيا لأوروبا للسكن فيها . وتمتاز هذه الخيم بسهولة نصيبها و إعادة فكها ماوى رائع لحياتهم المتنقلة و فسيحة ومريحة . اليورت بشكل عام تحتاج إلى اللوازم التالية : (١ - الشعر والذي يعتبر هيكل اليورت . ٢ - الأعمدة الخشبية وهي الدعامة لليورت . ٣ - الجزء العلوي يطلق عليه " الشنج راك " وهو الجزء الذي يسمح للضوء بالدخول والدخان للخروج . ٤ - الباب . ٥ - اللباد والغطاء لليورت) . الشعر يبسط على شكل دائرة ويربط ببعض بحبال . الباب ملامس لمكان في الشعر . الأعمدة الخشبية تنصب في مكان على الأرض . " الشنج راك " يعمل بواسطة رب العائلة بمساعدة الإبن . اليورت تغطي باللباد وبعد ذلك بغطاء وترتبط بحبال .

مخروطية الشكل بدلاً من الأسقف التقليدية قبية الشكل (على شكل قبة) .
بعض الأحيان ، العائلات الغنية تنصب خيمتين (يورتس) ، فواحدة لسكن العائلة
والأخرى للضيوف والإحتفالات. عموماً ، خيامهم الجلدية تشبه خيام الرحل من الأوزبك
والتركمان وملابسهم التقليدية تشبه ملابس الكازخ أكثر من جيرانهم الأوزبك .
يعيشون بشكل رئيسي في مقاطعة كاراكالباكستان ذات الحكم الذاتي في الشمال الغربي من
أوزبكستان ، وينتشرون في دول أخرى وهي : تركمانستان ، كازخستان ، روسيا .
٦. تتار قازان أو تتار تتارستان:

سنتكلم عن تتار قازان بشكل أوسع ، وذلك بسبب جهل الكثيرين لتاريخ إخوانهم من تتار
قازان وبسبب الإشكالية الدائمة التي تقع في معرفتهم وتسميتهم ، فنقول :
هؤلاء هم من البلغار الذين استقروا حول نهر الفولغا وعرفوا بـ " بلغار الفولغا " وذلك بعد
سقوط إمبراطوريتهم من قبل الخزر كما اسلفنا ، وعند قدوم القبجاق الأتراك اختلطوا معهم
ومن بعدهم التتار الأتراك عند قدوم جيوش المغول ، وكما هو معلوم كان قوام جيوش المغول
أغلبه من التتار الأتراك ، فأنصهروا جميعاً مع الشعب البولجاري وكونوا ما يعرف اليوم
بتتار قازان أو تتارستان .

يطرح عالم التركيات يعقوبفسكي (A.Y. Yakubovskiy) - من أبرز علماء التاريخ
وعضو مراسل بأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي السابق - سؤالاً فيقول : " ما صلة التتار
الذين نراهم اليوم بتتار الإمبراطورية الذهبية ؟ " (يقصد بالتتار اليوم هنا بلغار الفولغا) ، ثم
يجيب على هذا السؤال قائلاً : " نجد في أبحاث بعض المؤرخين ظاهرة الخلط بين تواريخ
الشعوب المختلفة . إن سكان جمهورية تتارستان الذين يسكنون مساحة بلاد البولجار القديمة
(يقصد الإسلامية منها) ، لم يرحلوا عنها ، ولم يتم القضاء عليهم ، بل ما زالوا يعيشون
هناك حتى يومنا هذا . وفي الحقيقة نستطيع القول وبكل تأكيد أن الأساس لشعب جمهورية
تتارستان الشقيقة يتشكل من البولجار القدماء الذين ضموا إلى أنفسهم عناصر جديدة لم تدرس
حتى الآن ، والذين اكتسبوا اسم التتار فيما بعد " ١١ .

ارتبط هذا الجزء من البلغار بعري الصداقة الوثيقة بالشعوب الإسلامية الأخرى . وهؤلاء
اطلق عليهم من قبل العرب اسم " البولجار " . وتعود جذور هذه العلاقات إلى تلك الأزمنة حين
كان البلغار يشغلون شواطئ البحر الأسود ونهر الدون (يقع في الشمال الشرقي للبحر الأسود
(والقوقاز . واستطاع البلغار الذين كانت لديهم الخبرة في نظم الحكم ، أن يقوموا خلال فترة
تاريخية وجيزة بتكوين دولة لهم في أقصى شرق أوروبا دافع صيتها بين بلاد أوروبا وآسيا
وأفريقيا ، واتجه التجار والرحالة العرب صوب هذه المنطقة ، وبدأ التأثير العربي يزداد قوة
بعد اعتناق البولجار الدين الإسلامي في القرن التاسع الميلادي . ومنذ ذلك الحين بدأ البولجار
يشجعون شبابهم على السفر إلى بغداد والقاهرة والمراكز الإسلامية الأخرى لتعلم الدين
الإسلامي . أما الإعلان الرسمي لاعتناق البولجار الإسلام فقد تم في عام ٩٢٢ م إثر إسلام
ملك البلغار النصراني المسمى ألاماز واتخاذ اسماً إسلامياً هو جعفر ، وذلك أيام الخليفة
المقتدر الذي أرسل البعثة من بغداد إلى بلاد البولجار . وكان على رأس هذه البعثة ابن
فضلان الذي ترك لنا تسجيلات قيمة في تاريخ بلغار الفولغا وحضارتهم وديانتهم .. وكان ابن
فضلان ورحالة العرب الآخرون الذين زاروا بلاد البولجار ، يكتبون في مؤلفاتهم أن لديهم
العلماء والأدباء والطباء ، وأنهم يعرفون الكتابة ، فكانت لهم كتب منسوخة بخط اليد .
وتغيرت حروف البولجار عقب اعتناقهم الإسلام إلى الحروف العربية . وكان رحالة العرب
ومؤرخوهم يشيرون في مؤلفاتهم إلى وجود المدارس في المدن البولجارية وإلى انتشار فن
الكتابة . وحين توثقت العلاقات بين البولجار والعرب بدأ البولجار يهتمون بالأدب العربي
والفكر الإسلامي ، فأرسلت إلى بلادهم كتب عربية كثيرة ، وأصبحت دولتهم إحدى قلاع
الإسلام في أقصى المناطق الشمالية . وكانت دولة البولجار تمتاز بالمستوى الحضاري الراقى
، حيث شيدت الجوامع الشامخة والخانات والبيوت التي كانت تستخدم فيها التدفئة الهوائية .
وكانت تمتد عبر المدن مواسير المياه ، مما أدى إلى غير دولة روسيا الكيفية والموسكوفية
التي أخذت تشن الحملات الوحشية على بلاد البولجار لنهب وسلب خيراتها وتدمير مدنها
ومنشأتها الحضارية .

١١- انظر من هم التتار ؟- د. أبرار كريم الله ، ترجمة وتعليق : د. رشيدة رحيم الصبروتي - ص ١٩ - الهيئة
المصرية العامة للكتاب .

واستطاع البولجار أثناء الغزو المغولي أن ينتصروا في البداية على جيوش الأعداء ، لكنهم لم يصمدوا كثيراً ، فسقطت دولتهم عام ١٢٣٦ م وإحرقت عاصمتهم بلغار ، وأصبحت تحت سيطرة الإمبراطورية الذهبية.

وعلى الرغم من أن دولة البولجار قد تعرضت للخراب والتدمير ، إلا أنها استطاعت أن تنهض أن تنهض من جديد لمعالجة أوضاعها ، حتى أصبحت من أهم المراكز التجارية والثقافية في منطقة الشرق . وحين أصاب الضعف أوصال الإمبراطورية الذهبية . بعدها تحركت روسيا لتحقيق أطماعها التاريخية في الاستئثار بدولة البولجار ، حتى سقطت عاصمة البولجار عقب الغزو الروسي تحت قيادة " فيودور بوس تري " (Feodor Pestiy) الذي أمر بحرق وتدمير العاصمة ، ففقد البولجار عاصمتهم الجديدة " قازان " على بعد ما يقرب من ١٠٠ كم شمال العاصمة القديمة ، ومنذ ذلك الحين أطلق على دولة البولجار اسم " إمارة قازان " . غير أن حملات الروس الوحشية لم تتوقف على أراضي قازان ، حتى سقطت قازان بدورها على يد إيفان الرابع ، وفقدت استقلالها وقد سبق الحديث عن ذلك . وقد تعرض الشعب البلغاري لأشد أنواع الهمجية والإرهاب ، فقد تعرض ثلث سكانه للإبادة الجماعية . ووقع جزء من أبنائه في الأسر ، وفر جزء منهم إلى جبال أورال وسيبيريا ، وأحرق كل المساجد ، ومنعوا من الإقامة في العاصمة قازان وضواحيها ، وتعرض جزء منه للتنصير قهراً ، وتمت إبادة التراث المنسوخ واعداد ما يقرب من ألف شخص من رجال الدين . لكن الشعب لم يستسلم ، ولم ينحن أمام همجية الروس ، واستمر سراً في تعليم أبنائه القراءة والكتابة وأسس الدين الإسلامي الحنيف . وبعد ثورة " بوجاتشوف " التي اشترك فيها البولجار ، اضطرت الإمبراطورة " كاترين الثانية " أن توافق على مؤتمر للمسلمين ، ومنذ ذلك الحين لم يمنع بناء المساجد . ومنذ القرن السادس عشر الميلادي بدأت السلطات الروسية ورجال الكنيسة والمبشرون يسعون إلى محو هوية الشعب البولجاري وتقديمه أمام العالم على أنهم بقايا الجيوش المغولية ، فأطلقوا عليهم تنكيلاً بهم وتشويهاً لهم اسم التتار (ذلك أن اسم التتار كما سبق واسلفنا التصق بالمغول وأصبح مدلولاً للوحشية والهمجية) . ومن هنا بدأت هذه التسمية تنتشر ويعرف بها العالم البولجار على أنهم تتار . أما حين أمسك الشيوعيين بزمام الحكم في الإمبراطورية السوفيتية بدأت موجة جديدة لإبادة التتار جسدياً وروحياً ومعنوياً ، ولكنها كانت هذه المرة أشد قسوة ومهارة ودهاء . وتم اعداد التخطيط الاستراتيجي لطرد التتار من ديارهم وتشيتيتهم بين شعوب الاتحاد السوفيتي بهدف تذيبهم واضاعة هويتهم .

ولكن شاء الله أن لا تنفذ هذه الإبادة الجماعية وذلك بوفاة الدكتاتور ستالين ، ولم تجرؤ السلطات الروسية في موسكو على تنفيذ هذه الخطة بعد وفاة الطاغية عام ١٩٥٣ م . وقد أعلن التتار في ٣٠ أغسطس عام ١٩٩٠ م استقلالهم ، والذي أكد عليه استفتاء الرأي العام في ٢١ ديسمبر عام ١٩٩٢ م ، ولكنهم لم يمنحوا الاستقلال الكامل حتى الآن . لكنهم منحوا الحكم الذاتي باسم جمهورية تتارستان وذلك ضمن الاتحاد الفيدرالي الروسي . ونود أن نذكر أن لهجة البولغار التركية من نفس جنس لهجة القبايق ، وقد تأثرت اللهجة البولغارية التركية (تتار الفولغا) بشكل طفيف بكل من الروسية واللغة العربية . يتمركز معظم تتار الفولغا (بولغار الفولغا) اليوم في جمهورية تتارستان . وتتوزع مجموعات صغيرة منهم في كلا من : باشكيرستان ، كازخستان ، أوزبكستان ، أوكرانيا ، أذربيجان ، طاجكستان ، ليتوانيا ، بيلاروسيا (روسيا البيضاء) ، قرغيزستان ، تركيا ، الصين ، فنلندا ، الولايات المتحدة الأمريكية و ألمانيا .

٧. الجواشيون (الشوفاشيون) Chuvash: هم القسم الثاني من بلغار الفولغا ، والذين لم يسلموا ولم يختلطوا بالقبايق ولا بالتتار . نزحوا إلى وسط منطقة الفولغا ، واختلطوا بالسكان من الأقوام التركية من بقايا الأتراك الهون والمسمين بـ " سوز " (سيأتي الحديث عن الهون عند الحديث عن الدول والإمبراطوريات التركية) والذين تواجدوا في المنطقة قبل نزوح البلغار إليها ، وعند قدوم الغزو المغولي ، نزحوا إلى شمال منطقتهم حيث يسكن شعب فنلندي يسمى: " ماري " واختلطوا به ، فكونوا ما يسمى بـ الجواش (الشواش) .

"١١- لا يقصد بشعب فنلندي هنا سكان جمهورية فنلندا ، بل قبيلة من قبائل العرق الفنلندي وهم الماري والذي يطلق عليهم " فنلنديو الفولغا " . يعيشون بطول نهر الفولغا ونهر الكاما في روسيا ، ومعظم الشعب الماري يعيش اليوم في جمهورية ماري إل ضمن الاتحاد الفدرالي الروسي . تقع جمهورية ماري إل شمال جمهورتي تتارستان وتشوفاشيا ، ويصل عدد المسلمين بها قرابة الـ ٦٠ في المائة .

في عام ١٢٤٢ م أصبحوا جزءاً من دولة القبيلة الذهبية ، ولكنهم لم يتأثروا بها ولم يتدخل المغول بشؤونهم الداخلية لكونهم يدفعون الضرائب السنوية . وعند ضعف القبيلة الذهبية حاولت عدد من الإمارات حول الجواش السيطرة عليهم ، لكنها لم تفجح . بعد سقوط القبيلة الذهبية أصبحت المنطقة التي يتواجد بها الجواش تحت نفوذ إمارة قازان ، ولكن عند تهديد إيفان الرابع (حاكم إمارة موسكو الروسية المسماة بـ غراندوقية موسكو) إمارة قازان أعلن الجواش والماري الولاء والطاعة له وإمارته . في المقابل ، وعد إيفان الرابع الجواش والماري بإعطائهم أرضهم التاريخية ، و عدم أخذ الضرائب منهم لمدة خمس سنوات . ولكن خاب أمل الجواش والماري في قادة الروس فأعلن جزء منهم الثورة ضد الروس أثناء حربهم مع إمارة قازان. في فترة الإمبراطورية الروسية قسمت تشوفاشيا (جمهورية الجواش الحالية) إلى قسمين شمالية وجنوبية ولكل قسم حاكم من قبل الروس . وقد اشترك الجواش في انتفاضات عديدة ضد الروس . ما بين ١٦٥٠ - ١٨٥٠ م كان النشاط التنصيري مسلط من قبل الإمبراطورية الروسية النصرانية بشكل مكثف ضد الجواش لتحويلهم إلى النصرانية الأرثوذكسية ، وقد نجح الروس في ذلك حيث تحول معظم الجواش للنصرانية الأرثوذكسية ، وبقي قليل منهم على وثنيته . هجر أكثر من نصف الجواش أراضيهم ، بسبب اقتطاع الروس لأجزاء كبيرة من أراضيهم لصالح الطبقة المخملية في المجتمع الروسي ولمعاملتهم كالعبيد على أرضهم . في الفترة السوفيتية ، زادت روح التحرر الوطني لدى الجواش ، لكن الروس قضوا عليها في النهاية . في عام ١٩٢٠ ، أعلن عن قيام منطقة حكم ذاتي للجواش من قبل الزعيم السوفيتي " فلاديمير لينين " وذلك لكسب تأييدهم ، ولكنها تحولت إلى جمهورية تشوفاشيا السوفيتية الاشتراكية في عام ١٩٢٥ م . في عام ١٩٩٢ أعلن أول رئيس لروسيا الاتحادية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي " بوريس يلتسن " (من أصول جواشية) قيام جمهورية تشوفاشيا بشكلها الحالي ، وذلك ضمن الاتحاد الفدرالي الروسي . معظم الجواش يدينون اليوم بالنصرانية الأرثوذكسية وهناك مجموعات ما زالت على وثنيته وأخرى مسلمة . يتواجد الجواش بكل أساسي في جمهوريتهم ، ولكن يتوزعون في كل من : كازاخستان ، أوكرانيا ، أوزبكستان ، تركمانستان ، بيلاروسيا (روسيا البيضاء) ، لاتفيا ، مالدوفا ، قيرغيزستان ، جورجيا ، أستونيا ، أذربيجان .

٨. تتار القرم Crimean Tatars :

بداية شبه جزيرة القرم اليوم تقع شمال البحر الأسود حيث تقع حالياً ضمن جمهورية أوكرانيا و تقع جنوب البلاد ويحيط بها البحر الأسود من الجنوب والغرب، بينما يحدها من الشرق بحر آزوف . وكلمة القرم تعني القلعة باللهجة التتارية. كما ذكرنا سابقاً ، كانت منطقة شمال البحر الأسود كلها ومن ضمنها شبه جزيرة القرم ضمن نفوذ قبيلة القبايق التركية ، حتى دخولها تحت نفوذ المغول ودولتهم القبيلة الذهبية وبعد ذلك أصبح يطلق على سكان القرم التتار نتيجة سقوطهم تحت نفوذ المغول والذي كما سبق وقلنا عرفوا بذلك لغلبة التتار الأتراك على جيشهم ، واختلط القبايق الأتراك في القرم مع إخوانهم من التتار الأتراك في الجيش المغولي والمغول . بعد سقوط القبيلة الذهبية ، بقيت القرم كإمارة مستقلة ، وكانت حدودها تشمل بشكل واسع أوكرانيا الحالية وتمتد نحو شمال القوقاز ونحو روسيا . وخضعت الإمارة لحكم العثمانيين في عام ١٥٢١م وحتى هزيمة العثمانيين على يد الروس في الحرب التي استمرت بينهما منذ عام ١٧٦٨ م حتى الهزيمة عام ١٧٧٤ م ، فأصبحت القرم مستقرة اسمياً نتيجة لمعاهدة " كوتشرك قينارجي " والتي تلت الهزيمة . وفي عام ١٧٧٩ م عقدة معاهدة " إينالي كافاك " والتي وضعت القرم تحت الرحمة الروسية مع الاعتراف بسلطة السلطان العثماني الاسمية على المسلمين في القرم بوصفه خليفة للمسلمين . وبحلول عام ١٧٨٣ م أصبحت القرم من ضمن الولايات الروسية وذلك في عهد الإمبراطورة الروسية " كاترين الثانية " . وفي ديسمبر ١٩١٧ م وإثر الثورة الشيوعية في موسكو أعلن تتار القرم عن قيام جمهوريتهم المستقلة برئاسة نعمان حيجي خان، إلا أن الشيوعيين سرعان ما أسقطوا الحكومة، وأعدموا رئيس الجمهورية وألقوا بجثته في البحر. في عام ١٩٢٠م أعلنت حكومة الاتحاد السوفيتي عن قيام جمهورية القرم ذات الاستقلال الذاتي، وعندما أراد ستالين إنشاء كيان يهودي في القرم عام ١٩٢٨م، ثار عليه التتار بقيادة أئمة المساجد والمثقفين فأعدم ٣٥٠٠ منهم، وجميع أعضاء الحكومة المحلية بمن فيهم رئيس الجمهورية ولي إبراهيم، وقام عام ١٩٢٩م بنفي أكثر من ٤٠ ألف تتري إلى منطقة سفر دلوفسك في سيبيريا، كما أودت مجاعة أصابت القرم

عام ١٩٣١م بحوالي ٦٠ ألف شخص. هبط عدد التتار من تسعة ملايين نسمة تقريباً عام ١٨٨٣م إلى نحو ٨٥٠ ألف نسمة عام ١٩٤١م وذلك بسبب سياسات التهجير والقتل والطرده التي اتبعتها الحكومات الروسية سواءً على عهود القيصرية أو خلفائه البلاشفة وتكفل ستالين بتجنيد حوالي ٦٠ ألف تتري في ذلك العام لمحاربة النازيين، بينما هجر النازيون عند استيلائهم على القرم حوالي ٨٥ ألف تتري إلى معسكرات حول برلين وذلك للاستفادة منهم. اتهم ستالين التتار بالتعاون مع النازيين الألمان فقام في مايو ١٩٤٤م بتهجير أكثر من ٤٠٠ ألف تتري في قاطرات نقل المواشي إلى أنحاء متفرقة من الإتحاد السوفييتي خاصة سيبيريا وأوزبكستان. قام الجنود الروس بحرق ما وجدوه من مصاحف وكتب إسلامية، وأعدوا أئمة المساجد، وتم تحويل المساجد إلى دور سينما ومخازن.

أصدر مجلس السوفييت الأعلى قراراً في ٢٠ يونيو ١٩٤٦م بإلغاء جمهورية القرم ذات الاستقلال الذاتي، وذلك كما ورد في القرار لخيانة شعب القرم للدولة اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، وفي عام ١٩٦٧م ألغى مجلس السوفييت الأعلى قراره السابق باتهام شعب القرم بالخيانة، إلا أنه مع ذلك لم يسمح لهم بالعودة إلى وطنهم. عندما أعلن غورباتشوف آخر زعيم للإتحاد السوفييتي برنامجه الإصلاحية عام ١٩٨٥م تحت شعار إعادة البناء "بريسترويكا" بدأ التتار في العودة إلى بلادهم، ولكن بلا أية حقوق، وعندما نالت أوكرانيا استقلالها عن الإتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م عقد التتار مؤتمرهم الأول في ٢٦ يونيو ١٩٩١م في مدينة سيمفروبول حيث تم فيه تأسيس المجلس الأعلى للتتار القرم كممثل للشعب التتري، وانتخب المناضل التتاري الذي حكم عليه بالسجن مدة ١٥ عاماً "مصطفى جميل" رئيساً للمجلس. بدأ مصطفى جميل نضاله من أجل الحصول على حقوق شعبه تحت شعار "لقد عادت إلينا شخصيتنا الإسلامية التي لا يمكن أن نفرط فيها، إننا مسلمون وسنبقى مسلمين، وسنعمل جاهدين على تعلم ديننا".

ومازال تتار القرم يرزحون تحت الاحتلال الأوكراني، وأحوالهم صعبة ومؤلمة.. يتواجد معظم تتار القرم اليوم في شبه جزيرة القرم في أوكرانيا و أعداد أخرى في رومانيا، وهناك أعداد قليلة منهم تتواجد في كلاً من: بلغاريا، تركيا، أوزبكستان، كازخستان. ^٩ النوغي (Nogais) (Nogais): هم خليط من الترك (الكيماك وأغلبهم من القبايق) و مغول القبيلة الذهبية وهم بقايا جماعة القائد نوغاي، أحد أشهر قادة القبيلة الذهبية، والتي انقسمت (بعد مقتله) عن القبيلة الذهبية، لذا سميت باسمه. يتحدث النوغي الترك لهجتهم وهي من نفس جنس لهجة القبايق. يتواجد معظم النوغي شمال القوقاز وفي تركيا و رومانيا. وهم قريبين ثقافياً من الكازخ.

^{١٠} تتار الليبكا = تتار بولندا = تتار بيلاروسيا = تتار ليتوانيا Lipka Tatars: هم خليط من تتار القبيلة البيضاء (أتباع أوردا بن جوجي بن جنكيز خان) و تتار القبيلة الذهبية من كلاً من تتار قازان و تتار القرم. أنت بداية الموجة الأولى من تتار القبيلة البيضاء في بداية القرن الرابع عشر الميلادي وقد كانوا شامنيين إلى دوقية ليتوانيا (تمثل اليوم: بولندا، بيلاروسيا، ليتوانيا)، أما الموجة الثانية من التتار من القبيلة الذهبية وقد كانوا مسلمين، فقد أنت بدعوة من دوق ليتوانيا للسكن وقد كانوا يمثلون الطبقة العسكرية النبيلة. يتحدث تتار الليبكا لغتهم بجانب لغات البلدان المستقرين بها، ولكنهم فقدوا ثقافتهم. يعيش معظم تتار الليبكا اليوم في كلاً من: بولندا، ليتوانيا، بيلاروسيا (روسيا البيضاء)، ولكن هناك مجموعات منهم تعيش في كلاً من: أوكرانيا، الولايات المتحدة الأمريكية و كندا. كان تتار القرم يطلقون قديماً لفظ "ليبكا" على ليتوانيا، ومن هنا جاءت هذه التسمية تتار الليبكا.

^{١١} القرغيز (القرقيز) Kyrgyz: هم قبائل بدوية تركية قديمة كانت تقطن سابقاً سيبيريا (تحديداً شمالي منغوليا الحالية، حول منابع نهر ينيسي)، وبعد ذلك تحديداً في عام ٨٤٠م هاجموا إمبراطورية الأويغور وأزاحوها من منغوليا وأقاموا ولايتهم الخاصة. طردوا بعد ذلك من قبل المغول في القرن العاشر الميلادي وارتحلوا إلى وسط آسيا واستقروا فيما يعرف اليوم بـ "قرغيزستان" بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي، ثم في القرن السادس عشر سيطر عليهم المغول، ومن بعدهم المانشوريين في القرن السابع عشر ومن بعدها الصين ومن ثم التحقت بخانات كوكاند (قوقند)، حتى في النهاية سقطت في يد الروس عام ١٨٦٦م والتحقت بالإمبراطورية الروسية عام ١٨٧٦م "١١".

في عام ١٩٣٦ م أصبحت جمهورية تابعة للإتحاد السوفيتي ، وفي أغسطس عام ١٩٩١ م استقل القرغيز بدولتهم في نفس اليوم مع جمهورية أوزبكستان . وعرفت بعد ذلك بجمهورية قيرغيزستان (قرغيزيا) .

- هناك عدة أقوال في سبب تسمية القرغيز بهذا الاسم ، نذكر منها :
- اسم قرغيز يعني " الأربعين فتاة " أو " الأربعين قبيلة " ، وذلك طبقاً للملحمة الشعبية القرغيزية " ماناس " Manas " ١ " ، والتي روت إتحاد القبائل الأربعين ضد هجمات الأعداء . وهذا مجسد بالشمس الصفراء في وسط علم قيرغيزستان ، والتي ينطلق منها أربعين شعاعاً في إشارة إلى الأربعين قبيلة التي كونت القرغيز " ٢ " .
- قيرغيز صفة وتعني " الخالد " أو " المتعذر إطفأؤه " أو " الذي لا يموت " ، وذلك نتيجة للصدامات التاريخية والتي خاضها القرغيز كقبيلة " ٣ " .
- هناك قول ذكره الأستاذ الكبير " محمد مراد الرمزي " حيث يقول : " قرغز فهي في الأصل قبيلة كبيرة من قبائل الترك من بقايا ذرية أوغوز خان أو ذرية بعض مقربيه وأمرائه وكان غز مخفف من أوغوز " إلى أن قال : " و قر في لغة الترك بمعنى البرية فمعنى قرغزي بمعنى غز البرية بإضافة غز إلى قر والبرية في كليهما فإن المضاف إليه يقدم في التركية فيكون اسماً مخصوصاً لمن سكن في البرية من غز " ٤ " .
- يعيش معظم القرغيز في جمهوريتهم (قيرغيزستان) ، ويتوزع البقية في البلدان التالية : (كازخستان ، أوزبكستان ، الصين ، أفغانستان ، طاجيكستان ، باكستان ، روسيا ، أوكرانيا ، تركيا) .

١٢. الكازخ (القزاق) Kazakhs : الكازخ " ٥ " هم عبارة عن خليط من القبائل التركية العديدة (القبجاق ، النوغاي ، القارلوق وغيرهم ..) والقبائل المغولية . وهم خيالة مهرة وصيادين ومربي مواشي في الأصل ، وتعتمد تقاليدهم الاجتماعية على القبلية والعشائرية . استقر الكازخ في منطقتهم الحالية منذ دولة القبيلة الذهبية ، وقد بدأ الكازخ في استخدام هذا المسمى ما بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي " ٦ " .

بدأ الروس في عصر القيصرية - القرن التاسع عشر الميلادي- محاولاتهم للسيطرة على المنطقة ، وبعد الثورة البلشفية وتحديداً في عام ١٩٢٠ م أصبحت كازخستان روسية . لم تستطع روسيا الشيوعية إخضاع كازخستان بصورة كاملة إلا في عام ١٩٣٤ م ، وتم دمجها في الإتحاد السوفيتي في عام ١٩٣٦ م بعد مقاومة طويلة . وفي ديسمبر عام ١٩٩١ م أعلن الكازخ استقلال جمهوريتهم .

في السابق كان الروس وغيرهم يخلطون بين القرغيز وبين القزاق ، فكانوا يطلقون على القرغيز اسم " كارافيرغيز " ، والقزاق كانوا يسمونهم " غيرقيز " وهذا خلط وخطأ فاحش . مسمى القزاق لا يدل على نسب أو اسم شخص ، كما هو حال القبائل التركية الأخرى ، بل هو اسم نشأ وأطلق على خليط من القبائل التركية والمغولية . اختلف في سبب التسمية ، ومن ذلك : - مقتبسة من الكلمة المغولية خازاق : (العربية ذات العجلات التي يستخدمها الكازاخ لنقل خيامهم المسماة يارت مع الأمتعة) " ٧ " .

" ١ " - أكثر الأعمال القرغيزية الأدبية شهرة ، وهو شعر ملحمي شعبي . ماناس هو اسم البطل التي تسمت الملحمة باسمه . الملحمة تقارب النصف مليون سطر ، وهي من أكثر الملاحم الشعرية طولاً في العالم . الماناس عمل قومي يروي مآثر القائد ماناس وقومه وأتباعه ، والذي قاتلوا الصينيين و قبائل القالموق المغولية في القرن الثامن للمحافظة على استقلال القرغيز .

" ٢ " - هذا القول ورد في دراسة عن قيرغيزستان للمركز المسمى " مدرسة دراسات روسيا و آسيا " على الشبكة العنكبوتية ، وذلك على موقعهم : <http://www.sras.org> .

" ٣ " - هذا القول من الشبكة العنكبوتية ، من ترجمة النصوص الصينية الخاصة بالترك من القرن الثامن إلى العاشر الميلادي ، للغوي الكازخي (الروسي الأصل) المختص باللغة الصينية وكل ما يخص التراث الصيني " يوري زويف " Yury Zuev .

" ٤ " - تليفق الأخبار وتلفيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار - ج ١ ، ص ٢٦٢ .

" ٥ " - الكازخ هي الترجمة الإنجليزية للإسم الروسي ، والأصل هو قزاق .

" ٦ " - انظر : أربع دراسات على تاريخ وسط آسيا - بارتولد - الجزء الثالث ، ص ١٢٩ .

" ٧ " - الكازخبيون - مارثا بريل أولجيت - ص ٤ . The Kazakhs-Martha Brill Olcott .

- في أواخر دولة القبيلة الذهبية كان الضعف وتفرق الكلمة هو المسيطر عليها ، فخرج الكثيرون عن طاعة الخان (السلطان) وأصبحوا لا ينقادون له ويطلبون الاستقلال لأنفسهم ، وكان من يفعل ذلك يبتعد عن مركز السلطنة ويتوغل في البرية ويذهب هو وأتباعه إلى أماكن بعيدة صعبة .. هرباً من قوة الخان وبطشه ، وكان يقال لهم قزاق بمعنى " الفار " و " الهارب " ثم حرف اللفظ وقيل " قزاق " ، فلما كثر فيهم من يفعل ذلك ، كثرت إطلاق هذا الاسم عليهم حتى صار كالعلم الغالب لجميع تلك القبائل وإن لم يوجد الوصف المذكور في كثير منهم ، ولكن أطلق اللفظ من باب إطلاق اسم البعض على الكل ، وقد اعترض البعض على هذا اللفظ ، ولكن إطلاق هذا اللفظ موجود عند قدماء الترك ، فقد كانوا كثيراً ما يقولون : " خرج فلان قزاقاً مع أتباعه " و " صارت القبيلة الفلانية قزاقاً " ١ .
 - بسبب مهارتهم في الفروسية فكأنهم من شدة تمكنهم فوق ظهور الخيل شبهوا بالوتر ، والذي معناه بالتركي قازق " ٢ " .
- الشعب الكازخي ، كما سبق وذكرنا قبلي . فالكازخ احتفظوا بملاحمهم القبلية من خلال النقل الشفوي . لذا كان لازماً عليهم تنمية كم هائل من الذكريات لأجل المحافظة على رصيد كافٍ من تاريخ تلك القبائل . فوطنهم الذي دمج القبائل الرحل الكازاخستانية من مختلف الأصول ، نجح في الحفاظ على ذاكرة أصول تلك العشائر . فالكازخي سواء ذكراً كان أم أنثى يجب عليه أن يحافظ على شجرة النسب بما لا يقل عن سبعة أجيال ويسمى هذا النظام " سجرى " وهي مأخوذ من العربية " شجرة " ، ونظام الزواج الكازخي هو تباعدي ، أي يمنع الزواج بين الأفراد ذوو القرابة الواحدة حتى سبعة أجيال . فالزواج القبلي ، يحسمه الأب .
- حالياً تتلاشى القبيلة في كازاخستان الحديثة سواءً خلال العمل الحكومي أو التجارة ، وإن كان شيء طبيعي بينهم السؤال عن أصل الشخص ومن أي القبائل عند التعارف مع بعضهم البعض . وإن أضحي حالياً ضرورة أكثر من تقليد ، فلا يوجد حالياً عداً بين القبائل . وبغض النظر عن الأصل فإنهم يعتبرون أنفسهم أبناء وطن واحد .
- يتواجد أغلب الكازخ في جمهوريتهم (كازاخستان) ، ولكن هناك مجموعات تعيش في الخارج في كلاً من : أوزبكستان ، الصين (خاصة تركستان الشرقية) ، روسيا ، تركمانستان ، منغوليا ، قرغيزستان ، أفغانستان ، تركيا ، ألمانيا ، طاجيكستان ، إيران ، أوكرانيا ، بيلاروسيا (روسيا البيضاء) .

ث- السيبريون Siberian : وهي مجموعة تحوي تحتها عدة فروع :

١. الياقوتيين (ساخا) Yakut Sakha : هم قبائل تركية قديمة تنحدر أصلاً من جزيرة أولخون في بحيرة بايكال شرق سيبيريا ، وقد هاجرت إلى أحواض الأنهار : " ليننا " و " ألدان " و " قبلي وي " ، وكلها تقع في الشمال الشرقي لسيبيريا ، وتلك المنطقة هي المنطقة التي يتواجدون فيها حالياً وتسمى " ياقوتستان " أو " ساخا " . اندمج الياقوتيين مع السكان السيبيريين المغول الأكثر عدداً في الشمال وذابوا بينهم ، وسموا أنفسهم باسم " ساخا " ، لذا عرفت بلادهم لاحقاً بهذا الاسم بجانب اسمهم الأصلي (الياقوت) . انقسم الياقوتيين إلى مجموعتين وفقاً لتواجدهم الجغرافي وطبيعة معيشتهم . الياقوتيون في الشمال ، وهم قبائل شبه رحالة ، يقتادون على صيد الحيوانات و الأسماك وتربية الأيائل (نوع من الحيوانات والتي لها قرون على رأسها تشبه الغزلان) ، بينما الياقوتيون في الجنوب يركزون على تربية الحيوانات وخاصة الأحصنة و المواشي .
- علم الروس بوجود الياقوت في عام ١٦٢٠ م واستولوا على أراضيهم في عام ١٦٣٢ م وكان يتزعمهم آنذاك رئيس قبيلة يدعى " تكين " . في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأت عمليات زراعة المحاصيل في حوض نهر " ليننا " ، وبدأت عمليات إنشاء طرق المواصلات والمصانع الخاصة بتجارة الجلود ، وذلك في العهد السوفيتي . وكانت هذه البداية أيضاً لفرق الكشف البحثية والجغرافية في هذه المنطقة المجهولة والباردة . في عام ١٩١٩ أطلق على أرض الياقوت " جمهورية ياقوتستان الاشتراكية السوفيتية المستقلة " و أصبحت ياقوتستان

"١"- تليف الأخبار وتلفيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار- الجزء ١ ، ص ٢٦٤ بتصرف .

"٢"-المصدر نفسه - الجزء ١ ، ص ٢٦٥ .

من ضمن الأراضي السوفيتية تماماً في إبريل من عام ١٩٢٢ م . في عام ١٩٩٢ م أعلنت موسكو ياقوتستان جمهورية من ضمن الاتحاد الفدرالي الروسي . وبسبب بعد ياقوتستان أصبحت منفى للكثيرين ومن ضمنهم قياصرة روسيا السابقين والشيوعيين .. يبدأ التجمد في ياقوتستان في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) إذ تغرب الشمس في اليوم الثاني والعشرين من ذلك الشهر ويستمر الليل مخيباً لمدة ٣٨ يوماً .

الياقوتيون يعيشون في منطقتهم في سيبيريا الوسطى منذ زمن بعيد ، وقد انقطعت علاقتهم بباقي الأتراك منذ ما يزيد عن ١٥٠٠ سنة تقريباً لبعدهم عنهم، ولكنها بدؤوا بالاتصال مع باقي إخوانهم الأتراك في الفترة القريبة الماضية .

الياقوتيون أصلاً شامانيون ولكنهم بحلول عام ١٨٢٠ م تنصروا وأصبحوا نصارى أرثوذكس ، ولكن مازال عدد منهم يمارس الشامانية ، وهناك عدد قليل من المسلمين . يتواجد الياقوتيون بشكل كبير في بلادهم " ياقوتستان " ، ولكن يتوزع عددٌ منهم في عدة دول وهي : الولايات المتحدة الأمريكية ، فرنسا ، كندا ، أستراليا ، السويد ، الدنمارك ، فنلندا، بريطانيا ، اليابان ، كوريا الجنوبية ، نيوزيلندا ، الصين ، الهند ، إسرائيل ، البرازيل ، ألمانيا ، كازاخستان ، إندونيسيا ، بولندا .

٢. الخاقاسيون (الخاقاس) Khakas : هم من أكثر الأتراك تميزاً بسمرتهم وسواد أعينهم وشعورهم وقصرهم . يعتقد أنهم أصلاً جزء من قبائل القرغيز التي بقيت في منطقتها الأولى حول منابع نهر ينيسي ولم تهجر ، وقد قيل أنهم خليط من القبائل التركية ومغول الإمبراطورية المغولية بقيادة القائد جنكيز خان .

في القرن السابع عشر الميلادي ، أقام الخاقاس دولة لهم باسم خقاسيا عند منشأ نهر ينيسي ومنخفض مينو سينسك "١" ، وقد كانت تلك المنطقة في وقتها تحت سيطرة المغول . وبعد زوال نفوذ المغول سيطر الروس مباشرة على تلك المناطق واستعمروها ، وبحلول عام ١٨٢٠ م أصبحت المنطقة مركزاً صناعياً وذلك لازدياد إقامة مناجم الذهب حول منطقة مينو سينسك . خلال القرن التاسع عشر ، بدأ الخاقاس بقبول نمط الحياة الروسية ، وتحول أكثرهم من الشامانية إلى النصرانية الأرثوذكسية . على الرغم من ذلك ، فأكثر الخاقاس يمارسون الشامانية بجانب النصرانية . خلال الحكم القيصري الروسي ، عرف الخاقاس بأسماء أخرى في معظم المراجع التاريخية ، فعرفوا بـ " تثار مينو سينسك " و " تثار الأباكن " و " أتراك الينيسي " .

في الحقبة السوفيتية وفي عام ١٩٣٠ م ، أنشئت مقاطعة خقاسيا المحلية كجزء من أقليم "كراسنويارسك كراي" . بعد سقوط الشيوعية وقيام الفدرالية الروسية ، أعلن قيام جمهورية خقاسيا كجزء من الكيان الفدرالي الروسي وذلك عام ١٩٩٢ . يعيش معظم الخاقاس في جمهورية خقاسيا ، وبعضهم يعيش في الفدراليات الروسية الأخرى مثل : " كيمبروفو " و " كراسنويارسك كراي " و جمهورية توبا .

٣. الآلتاي (الألتاي) Altay : هم قبائل تركية امتزجت مع قسم من القبائل المغولية ، و يعيشون في جمهورية الآلتاي وهي جزء من الكيان الفدرالي الروسي ، ويعيشون أيضاً في إقليم " التاي كراي " وهو أيضاً من ضمن الاتحاد الفدرالي الروسي ، والجهات المحيطة بجمهورية توبا وجمهورية منغوليا . الآلتاي أصلاً قبائل بدوية متنقلة ، مع أسلوب حياة يعتمد على الصيد والرعي ، و تميزوا منذ القدم (الألفية الثانية قبل الميلاد) بصناعة الأدوات المعدنية . بدأ احتكاك الآلتاي بالروس في القرن الثامن عشر الميلادي وبعدها بدأ الكثير منهم بالاستقرار . في فترة القيصريّة الروسية كان يطلق على الآلتاي اسم " أوريت " . كان معظم الآلتاي شامانيين ولكن في منتصف القرن التاسع عشر تحول جزء منهم للنصرانية الأرثوذكسية . مع صعود الثورة في روسيا عام ١٩١٧ م حاول الآلتاي تكوين دولة لهم تحت مسمى " أوريت " ، لكنهم فشلوا في تحقيق ذلك بسبب صعود الثورة الاشتراكية البلشفية بقيادة ستالين . في عام ١٩٢٢ أعلن عن إنشاء مقاطعة أوريت ذات الحكم الذاتي كجزء من إقليم "التاي كراي" ، وفي عام ١٩٤٨ م أعيد تسمية مقاطعة أوريت بـ " جورنو- آلتاي " . في عام ١٩٥٠ م وتطبيقاً للسياسة الصناعية السوفيتية تم جلب كثير من المهاجرين الروس

"١" - مدينة تقع في مقاطعة مينو سينسك وهي جزء من إحدى الكيانات الفدرالية الروسية "كراسنويارسك كراي" وتقع في سيبيريا الغربية شمال منغوليا .

لمنطقة الألتاي وأدى هذا إلى انخفاض عددهم على أرضهم . في عام ١٩٩١ أعيد تنظيم المقاطعة إلى جمهورية تحت اسم " جمهورية جورنو - ألتاي الاشتراكية السوفيتية " . في عام ١٩٩٢ أعيد تسمية الجمهورية تحت مسمى " جمهورية الألتاي " ، وهي من ضمن الاتحاد الروسي الفدرالي . يدين معظم الألتاي اليوم بالبوذية التبتية و النصرانية الأرثوذكسية ، وما زال البعض منهم يدين بالشامانية .

٤. التوفانيون (التوفان) Tuvans : هم شعب من أصول تركية مغولية ، عرفوا تاريخياً باسم " يوريان خاي " وهي تسمية مغولية . التوفان أصلاً شعب رعوي رحال ، يميل إلى تربية الماعز والغنم والجمال والثور والأيل منذ آلاف السنين . يعيشون بشكل تقليدي في اليورت . بجانب النقوش الصخرية التي وجدت على طول ضفة نهر ينيسي ، وجدت أيضاً أول آثار دولية مهمة وذلك بالقرب من منطقة " أرزهان " في الشمال الأوسط لجمهورية توبا ، هناك بدأت عمليات البحث في ركام مقابر السيث " ١ " ، والتي تكشف عن حياة الشرقيين الأوائل (القرن السادس والسابع قبل الميلاد) والذين انتشروا إلى أوروبا ، والتي تعكس أصول بعض التوفانيين الذين ظلوا يحملون مظهرهم المميز من شقرة الرأس ، وخضرة أو زرقة الأعين . وقصة هؤلاء السيث وحضارتهم والكنوز الثمينة موجودة في المتحف الوطني في العاصمة " كيزيل " . سيطر الهون على مناطق واسعة ومن ضمنها توبا حتى عام ٢٠٠ ميلادية ، وبعد ذلك تتابعت السيطرة التركية فجاء الهياطلة " الهون البيض " ومن ثم الكوك تورك وبعدهم جاء الأويغور . بعد ذلك أخضع المغول التوفان لسيطرتهم ، حتى خرجت من أيديهم وسقطت بيد المانشوريين (إمبراطورية كنج) والذين كانوا يحكمون الصين وقتها . بعد حصول الثورة الوطنية في الصين وتنازل المانشوريين عن الحكم ، استقل التوفان تحت مسمى " جمهورية أوجان شاي " . في عام ١٩١٤ م دخل التوفان تحت الحماية الروسية القيصرية ، ولكن عند حلول الثورة الروسية عام ١٩١٧ م تقسمت توبا بين الروس والصينيين والمغول . بعد ذلك في عام ١٩٢١ م سيطر الجيش الشيوعي الروسي على توبا وأعلن قيام دولة تانو توبا المستقلة ، ثم تعدل الاسم فيما بعد إلى توبا . وفي عام ١٩٤٤ م قام الاتحاد السوفيتي السابق بضم توبا إليه ، وبعدها في عام ١٩٦١ أصبحت جمهورية سوفيتية تحت اسم " جمهورية توبا الاشتراكية السوفيتية " . وعندما تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ م ظلت توبا جزءاً من روسيا كجمهورية ضمن الكيان الروسي الفدرالي . يدين معظم التوفان بالشامانية ، وهناك من يدين بالبوذية التبتية ، والقلة يدينون بالنصرانية الأرثوذكسية . يعيش معظم التوفان في جمهوريتهم " توبا " ، ولكن هناك من يعيش منهم في منغوليا والصين .

٥. الدولقان Dolgan : هم خليط من بعض الياقوتيين الأترك وبعض السبيريين المسمين بـ إيفانكس (تنغوس) وبعض القبائل الرحل الساكنة قرب نهر ينيسي والمسماة بـ إيننس (شعب أورالي " ٢ ") وبعض القرويين الموصوفين بـ زراعة التندرا " ٣ " والذين هاجروا جميعاً من المنطقة حول نهر " لينا " ونهر " ألينا يك " (يقعون في الشمال الشرقي من سيبيريا) إلى منطقة " كراسنويارسك كراي " (سيبيريا الوسطى) وعرفوا منذ القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين باسم " الدولقان " . الدولقان أصلاً كانوا قبائل رحل

" ١ " - سيأتي ذكرهم لاحقاً .

" ٢ " - يقصد بـ " الأورالي " ، هو كل من يتكلم إحدى اللغات الأورالية ، وهي عائلة لغوية في أوروبا وسيبيريا ، تتألف من فرعين رئيسيين اللغات الفينية الأوغرية و اللغات السامويديية . أصل الاسم هي جبال أورال في روسيا تضم هذه العائلة اللغوية ٣٩ لغة يتحدث بها حوالي ٢٥ مليون نسمة . أصبح اللغات الأورالية من حيث عدد الناطقين كلغة أم هي المجرية و الفنلندية و إستونيا ، و لغة المارية لغة الأودمارت . و من البلدان التي تشكل موطناً لعدد كبير من الناطقين باللغات الأورالية إستونيا ، فنلندا ، المجر ، رومانيا ، روسيا ، صربيا ، و سلوفاكيا . وتتشابه اللغات الأورالية مع اللغات الألتائية من حيث البناء اللغوي ، فهي جميعاً لغات إلصاقية . " ٣ " - هي لفظة روسية تسمى بها نباتات الدائرة القطبية ، والتوندرا لا توجد إلا في نصف الكرة الشمالي . وتطلق تسمية توندرا على أحد المجالات الحيوية الأربعة عشر على سطح الكرة الأرضية بالنظر إلى النظام البيئي المتميز بوجود طبقة نباتية فريدة . وهي تشكل دائرة حول القطب بمساحة تتجاوز ثمانية ملايين كلم مربع أي ما يساوي ستة بالمائة من اليابسة وهي تمتاز بشتائها الطويل القارص البرد و صيفها القصير الدافئ .

- ورعاة لحيوان الرنة (نوع من الأيائل) ، ولكنهم أجبروا على التجمع والإستقرار خلال الحقبة السوفيتية فارتبطوا بتربية حيوان الرنة وصيد الحيوانات والأسماك والعمل في مزارع إنتاج الحليب ومشتقاته وأيضاً كمزارعين للخضرة والنباتات .
- يدين معظم الدولقان بـ النصرانية الأرثوذكسية ، ولكن مازال البعض منهم يؤمن بالشامانية .
- معظم الدولقان يعيشون في إقليم "كراسنويارسك كراي" الروسي ، ويتوزع البقية بين مناطق روسيا الاتحادية وأيضاً يوجد عدد منهم في أوكرانيا .
٦. الشور Shors : هم مجموعة صغيرة من الأتراك يعيشون في إقليم " كيميروفو أوبلاست " الروسي . تكون السعب الشوري بعد تاريخ طويل من تزواج وتساخر الترك مع الشعوب السيبيرية من الأوراليين كالمويدك "١" والأوغريين "٢" وغير الأوراليين كالسبيريين الكيت "٣" .
- ثقافتهم وأصولهم تشبه ثقافة وأصول الألتائيين الشماليين والخاباسيين . يمارس الشور صيد الحيوانات والأسماك والفلاحة والحدادة وتعددين وصهر الحديد الخام . يطلق عليهم أيضاً اسم " التتار الحداديين " ، وذلك لمهارتهم في مهنة الحدادة .
- يعتقد أكثرهم الشامانية والأحيائية "٤" ، والباقي نصارى أرثوذكس .
- يعيشون أيضاً في جمهوريتي " خقاسيا " و " الألتاي " .
٧. التوفلر (توفا) Tofalor : هم أصغر مجموعة تركية . يعيشون في روسيا ، وتحديداً قرب جمهورية توفا . لهجتهم لا يتحدثها الآن إلا كبارهم في السن في الغالب ، وهم معرضون للإنقراض وذلك لقلّة أعدادهم . هم شعب رعوي ورحال ويعتمد على الصيد في معيشتهم وتربية الرنة . يدينون كلهم بالشامانية .

اللغات الألتائية (الألتائية) :

سميت باللغات الألتائية نسبة إلى جبال ألتاي في آسيا الوسطى (قلب تركستان) وهذه اللغات توجد بينها وحدة أو تقارب في البناء اللغوي أكثر من التقارب في الجذور اللغوية ، وهي من اللغات الإلحاقية أو الإلصاقية ، بمعنى أن يضاف إلى جذر الكلمة – والتي غالباً ما تكون ذات مقطع واحد – عدة لواحق ومقاطع لاشتقاق معان جديدة ، ولهذا يمكن أن يطلق عليها اسم أسرة اللغات الألتائية ويطلق عليها أيضاً اللغات الطورانية ، وهي تضم ثلاث أسر لغوية :

- ١ – اللغات التركية .
- ٢ – اللغات المغولية .
- ٣ – التتغوزية (المنشورية) .

وقد أضاف بعض علماء اللغة ، اللغة اليابانية والكورية إلى عائلة اللغات الألتائية .

بداية سنتكلم عن اللغات الألتائية غير التركية "٥" ، وبعد ذلك التركية .

اللغات الألتائية غير التركية :

١- اللغات المغولية (المغولية) :

تحتوي لغاتهم عدة لهجات .. أما اللغات المغولية للقبائل المغولية التي هاجرت إلى بلاد الفتوحات المغولية أيام جنكيز خان مثل (بلاد ماوراء النهر – بعض أجزاء أفغانستان – وروسيا – وأذربيجان) فقد ذابت في أختها التركية وهي لغة الشعوب في هذه الأقاليم .

- "١" - سمووا بذلك لتحديثهم لهجة أورالية واحدة وهي السامويديّة ، وهم يعيشون في الجزء الشمالي الغربي من سيبيريا الروسية قرب جمهورية فنلندا .
- "٢" - سمووا بذلك لتحديثهم لهجة أورالية واحدة وهي الأوغرية ، وهم يعيشون في الجزء الشمالي الغربي من سيبيريا الروسية جنوب السامويدك .
- "٣" - شعب سيبيري يتحدث لغة الكيت وهو من الرحل ، ولكنهم يعيشون حالياً في القرى الصغيرة على طول ضفتي الأنهار في روسيا .
- "٤" - هي الاعتقاد بوجود الأرواح وأن أي نظام حي أو كائن أو حتى المواد الجامدة أحياناً تمتلك نوعاً من الروح .
- "٥" - اللغات الألتائية غير التركية بتصرف من كتاب " جولة سريعة في تاريخ الأتراك والتركماني .. ما قبل الإسلام وما بعده " للدكتور أسامة أحمد تركماني . - ص ١٦ .

٢- اللغات التونغوزية (المنشورية) :

يسكن التونغوز سهول منشوريا شمال شرقي الصين ، وقد خضعت الصين كاملة لحكم المنشوريون بضعة قرون تحت حكم سلالة Khitan (لياؤو = Liao) التونغوزية ؛ ثم سلالة جورتشن (ملوك الذهب) التونغوزية أيضاً ، وبعد خمسة قرون ، تخضع الصين مجدداً لأعظم سلالة ملكية عرفت لها .. وهي أسرة كنج Qing التونغوزية المنشورية (من عام ١٦٤٤ م حتى ١٩١١ م) وكان عهدهم أرقى العهود الملكية في تاريخ الصين حضارة وقوة وتنظيماً .

٣- اللغة الكورية :

لغة الكوريون ، والذي لم يكن لهم شأن كبير في التاريخ القديم ؛ حتى برزت نهضتهم التكنولوجية والصناعية في أواخر القرن العشرين .

٤- اللغة اليابانية :

وهي لغة اليابانيين ، وهم أشهر من أن يعرفوا وأن تعرف حضارتهم إلى الناس . كان اليابانيون - قديماً - يعيشون في شمالي منغوليا ويحدثنا التاريخ كيف أنهم هاجروا منها كغزاة فاحتلوا ما عرف اليوم بجزر اليابان ومنحوها هويتها الحالية .. في حين أن سكان اليابان الأصليين هم شعب الأينو AINU (يتكلم الأينو لغة خاصة بهم) .. ولا يزال جزء ضئيل من المواطنين في اليابان اليوم ينحدرون من هؤلاء ويشكلون أقلية صغيرة .. وكان اليابانيون الغزاة يعتبرونهم مواطنين من الدرجة الثانية حتى القرن التاسع عشر !.

٥- اللغات التركية :

اللغات التركية قديمة قدم الشعب التركي نفسه ...

يتحدث بها قرابة الـ ١٨٠ مليون إنسان كلغة أم ، وتنقسم إلى خمس أقسام أساسية :

١ - التركية الشمالية الشرقية (السيبيرية) : تشمل اللهجات المستخدمة في سيبيريا شمال شرق نهر إرتيش وفي الأجزاء المجاورة من منغوليا والتي تتضمن :
- الألطية

- الياقوتية " ساخا " : نظم العالم الروسي " بيكارسكي " قاموساً للهجة الياقوتيين التي تعد أبعد اللهجات التركية عن أتراك تركيا. وقد ترجم هذا المؤلف الضخم الذي استنفذ عمراً كاملاً من قبل مجمع اللغة التركية بأنقرة .

- الدولقانية

- الخاقازية

- التوفانية

- الشورية

- التوفلرية

٢ - التركية الجنوبية الشرقية (الأويغورية - القارلوقية) :

- اللهجة الأويغورية المستخدمة بشكل رئيسة في تركستان الشرقية

- اللهجة الأوزبكية المستخدمة بشكل رئيسي في أوزبكستان وبعض جمهوريات آسيا الوسطى ، وشمال أفغانستان وقد تأثرت كثيراً باللغة الفارسية .

- لهجة الأويغوريون الصفر .

ملاحظة : تعتبر هذه المجموعة هي لهجات التركستانيين أو ما يعرف باسم البخارية ، وقد عرفت أيضاً باللهجة الجغتائية (الجغتائية) .

٣ - التركية الشمالية الغربية (الكيشاكية) :

- تتضمن اللهجة الكازاخية المستخدمة في كازخستان ، وبعض جمهوريات آسيا الوسطى ، وغرب الصين ، ومنغوليا .

- اللهجة القرغيزية المستخدمة في قرغيزستان ، وبعض جمهوريات آسيا الوسطى ، وغرب الصين .
- اللهجة التتارية .

- اللهجة البشكيرية المستخدمة في بشكيرستان والمناطق المجاورة في روسيا .

- لهجة قراشاي بلقار المستخدمة في جمهورتي " كراتشاي - تشركسيا " و " كبادينو - بلقاريا " .

- اللهجة الكوميكية المستخدمة في القوقاز الروسية .

- لهجة كارايم التي يتحدثها البعض في ليتوانيا وأجزاء من جنوب غرب أوكرانيا .

- لهجة الكاراكالباك في مقاطعة كاراكالبستان ذات الحكم الذاتي في أوزبكستان .

- لهجة النوغاي والمتحدثة في داغستان وغيرها من المناطق .

- لهجة القازق المستخدمة بشكل رئيسي في كازاخستان .

- ٤- التركية الجنوبية الغربية : (لهجة الأوغوز أو ما يعرف عربياً بالغُرّ) :
- تتضمن اللهجة التركية " لهجة الأناضول " المستخدمة في الجمهورية التركية وشمال قبرص .
 - اللهجة الأذرية " أذربيجان " المستخدمة في أذربيجان وشمال غرب إيران .
 - اللهجة التترية القرمية المستخدمة في أوكرانيا وأوزبكستان .
 - اللهجة التركمانية المستخدمة في تركمنستان وشمال إيران وأفغانستان وفي سوريا والعراق .
 - لهجة السالار : هي لهجة تركمانية تأثرت باللهجات التركية الأخرى كالأويغورية والكازخية ، ولكن تأثير اللغات الأخرى كالتيبتية والصينية كان كبير عليها .
- ٥- التركية الأوغورية : يتفرع من هذا القسم لهجات الأتراك السابقين : كالخزر والهن والآوار ، ومنها أيضاً اللهجة الجاوشية (الشوافشية) المستخدمة الآن في تشوفاشيا .
- وقد نظم العالم الروسي أشمارين والعالم الفنلندي باسوين قاموساً خاصاً باللهجة الجاوشية ، كما ألف العالم المجري ميزاروس كيولا مؤلفاً ضخماً في جزأين يضم مقتطفات من هذه اللهجة . وقد ترجم هذا الكتاب من قبل مجمع اللغة التركية . اللهجة الجاوشية (الشوافشية) هي اللهجة البلغارية التي يعود تاريخ انتشارها إلى خمسة عشر قرناً . ويعتقد البعض من العلماء أن لهجتهم شبيهة كل الشبهة بلهجة قبائل الهون القديمة مع القليل من التأثير بلغة الماري الفنلندية .

الشعار القومي للقبائل التركية :

لكل أمة رمزها في القومية ، وهذا الرمز يتخذ من بناية أثرية أو قلعة ذات تاريخ أو شجرة تندر وجودها عند قوم آخرين أو حيواناً أو نسراً أو عقاباً أو الأسد وغير ذلك . ولكل فرع من القومية رمزاً أيضاً يميزها . والرمز العام للقومية التركية وللترك هو الذئب الرمادي أو الذئب الأغبر ، ويسمى بالتركية " بوز كورت " . وأول من اتخذ الذئب رمزاً هم الهون الترك ، وفي ذلك قصة أن قائد الهون العظيم مته (أوغوز خان) بعد انتصاراته العظيمة على الصين وما جاورها من البلدان وتوحد جيوشه مع ممالك الأويغور في آسيا الوسطى اتجه نحو الشمال الغربي من سهول آسيا وكان معه الآلاف من جيوشه وأتباعه بعشيرتهم وعوائلهم ، ولكنهم وقعوا في حيرة من أي اتجاه يتجهون . وهم في حيرتهم هذه يواجهون الموت والفناء فرأوا ذئباً رمادياً يتجه إليهم وعندما وصل الذئب إلى مشارف مخيمهم قفل راجعاً فكانها إشارة منه ليتبعوه ، وما هي إلا ساعة إلا ويهتدوا إلى طريقهم الذي يقصدونه ، فأتخذ القائد مته قراره بأن يكون الذئب شعاراً وسمة مميزة لدولته العظيمة " " . وهناك أساطير مشهورة عن القائد العظيم مته (أوغوز خان) وعن الترك سنذكرها بإذنه تعالى في بحثنا القادم المنفصل عند الحديث عن التاريخ التركي .

- الإمبراطوريات والدول التركية عبر التاريخ

نظراً لأهمية الحديث عن تاريخنا التركي العظيم ، وأهمية توضيح كثير من النقاط فيه أثراً أن نجعله في بحث مستقل ، ولكن من باب الإحاطة سأسرد الإمبراطوريات والدول التركية عبر التاريخ ، مقسماً إياها لما قبل الإسلام ، ولما بعده .

١. فترة ما قبل الإسلام :

- السومريون في بلاد الرافدين Sumerians .
- إمبراطورية الهون (هيونغ - نو) Xiong-nu= Hsiung-nu .
- إمبراطورية الهون (إمبراطورية أتيللا Attila) .
- إمبراطورية الهون البيض (الهياطلة) Hephthalites .
- إمبراطورية توبا = وايي Toub=Topa= Wei .
- إمبراطورية جوان - جوان Juen-Juen = Guen-Guen .
- إمبراطورية الغُرّ / توكيو (كوك - ترك) Gok-turk=kok-Turk=Tu-kue .
- إمبراطورية الآفار (الآوار) Avars .
- إمبراطورية الخزر Khazaria .
- دولة البجناك (البشناك = البشناق) Beshenags .
- إمبراطورية الأويغور Uighur .

"١- للمزيد يمكن مراجعة كتاب : الموجز في تاريخ الهون لمؤلفه : تورغون الماس .

٢. فترة ما بعد الإسلام :

- الدولة الطولونية Tulunids
- الدولة الإخشيدية Ikhshidid
- الإمبراطورية السلجوقية Great Seljuq Empire
- دولة الأتابكة Atabegs
- دولة سلاجقة العراق ، سورية و كرمان .
- الدولة الزنكية Zengid
- دولة المماليك البحرية التركية Mamluk
- الدولة الرسولية Rasulids
- الدولة الغزنوية Ghaznavids
- الإمبراطورية الخوارزمية أو خوارزم شاه Khwarezm-Shah =Khwarezmian
- الإمبراطورية الأفراسيابية أو الإيلك خانية Ilek-Khanid أو القره خانية Qarakhanids
- الدولة الكرخانية (القرخانيون) (Qara khitay) Karakitai
- الإمبراطورية المغولية بتقسيماتها .
- الملوك الغوريون (الدولة الغورية) Ghurids
- الإمبراطورية التيمورية Timurid Empire
- الإمبراطورية البابورية Babur Empire أو المغول الكبار Mughal Empire
- الإمبراطورية العلية العثمانية Ottoman Empire
- دولة القره قويونلو = القراقويونلو (الخرفان السود) Qara Qoyunlu=Kara Koyunlu
- دولة الآغ قويونلو = الآق قويونلو (الخرفان البيض) Aq Qoyunlu = Ak Koyunlu
- الدولة الصفوية Safavid
- الدولة الأفشارية Afsharid
- الدولة القجارية Qajar
- دولة المماليك في الهند Ghulam=Mamluk
- الدولة الخلجية Khalji
- الدولة التغلقية Tughlugs
- سلطنة دلهي (اللودهيون)
- سلطنة بهماني Bahmani sultanate
- الإمارات التركستانية (بخارى – خوارزم " خيوه " – خوقند " فرغانة ") .
- الإمارات الشمالية (قرم – قران " خانلق " – أسترخان – تمن) .

البخاريون .. من هم ؟!

يطلق أيضاً على البخاريين لفظ التركستانيين "١" ، و لفظ " البخاريين " الأكثر انتشاراً واستخداماً .
لفظ " البخاريون " يطلق على فئة من الناس في الدول العربية ، وخاصة بلاد الشام ودول الخليج العربي .
فمن هم البخاريون ؟ وما أصل التسمية ؟ وما سبب تسميتهم بذلك ؟ ..
في البداية ، كانت كلمة " بخارية " – بالعامية – تطلق على المهاجرين من سكان وسط آسيا ومن تركستان الغربية تحديداً (التقسيم التاريخي لبلاد وسط آسيا إلى غربية وشرقية "٢") . والظاهر أن سبب التسمية يعود إلى أن أشهر مدينة في تركستان الغربية هي مدينة بخارى أو لأن أكثر من وفد ونزح في البداية من وسط آسيا للبلاد العربية كانوا من سكان ولاية بخارى المنهارة أو لأن أشهر عالم وعلم من تلك البقاع (وسط آسيا) هو

"١" - الكلمة تتكون من جزئين ، أولها " ترك " وتدل على العرق ، والجزء الثاني " ستان " وتعني بالفارسية : بلاد . إذن الكلمة ككل إشارة إلى الأصل وأنهم من بلاد الترك .
"٢" - تركستان ليست تسمية لدولة بحد ذاتها أو إمارة ، بل هي تسمية أطلقت كما سبق وأشرنا سابقاً على المناطق التي سكنها الترك تمييزاً لها . وتقسم تركستان كمنطقة إلى غربية وشرقية أتت بعد الاحتلال وإلا فمنطقة تركستان منطقة جغرافية واحدة ..

العلامة صاحب الصحيح " الشيخ الإمام محمد بن إسماعيل البخاري " - رحمه الله - "١" .
وكان يطلق على المهاجرين من تركستان الشرقية لفظ " كشاكرا " أو " كشاغرة " ؛ نسبة لأشهر مدينة هناك (كاشغر) ، أو كان يطلق عليهم لفظ " تركستانيين " تميزاً لهم عن نزح من تركستان الغربية .
ولكن بعد ذلك أصبح لفظ " البخارية " أعم فأصبح يشمل من هم من وسط آسيا بشكل عام ، سواء من تركستان الشرقية أو الغربية ، وكذا لفظ " التركستانيين " أصبح يشمل الجميع سواء من غرب تركستان أو من شرقها .
وأصبحت كلمة " بخاري " أو " تركستاني " تدل على أناس بعينهم (وسط آسيا) ، يعرفهم من يعيش في البلاد العربية .

وهؤلاء المهاجرين من تركستان (سواء الغربية أو الشرقية) ، عرفوا أيضاً (كنقسيم أصغر وأكثر تحديداً)
بأسماء مدنهم أو مناطقهم ، فتجد منهم : الطاشقندي من مدينة طاشقند ، والمرغلاني من مرغلان ، والقوقندي من قوقند ، والنمنقاني من نمقان ، والإنديجاني من أنديجان ، والسمرقندي من سمرقند ، والطرازي من طراز ،
والخوتاني من خوتان ، والكاشغري من كاشغر ... وهكذا ،،،،
وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي الغابر ، استقلت المناطق التي كانت تحت نفوذ الروس في تركستان الغربية إلى دول، ولكل دولة حدودها المعروفة (كان الروس قد حددوا حدودها من قبل) . فوُضعت مناطق أكثر من هاجر إلى البلاد العربية من تركستان الغربية في دولة أوزبكستان الحديثة "٢".
أما من هاجر من تركستان الشرقية ، فما زالت مناطقه محتلة من قبل الصينيين..ومن أشهر مدن تركستان الشرقية : كاشغر و خوتان .

وحقيقة ، كلمة بخاري لا تدل على عرق بشري بحد ذاته ، وذلك ببساطة لعدم وجود عرق يسمى بـ
" بخاري " ، بل هو لفظ كما سبق وأشرنا يدل على مكان أو شخص مشهور أو إمارة ، ولكنه أطلق لارتباط المكان أو الشخص أو الإمارة بتلك الفئة من الناس .
وكما سبق وذكرنا عند حديثنا عن القبائل التركية ، أن هناك قبيلة تسمى بـ " القارلوق " وأخرى بـ " الأويغور " . أما " القارلوق " فهم القبيلة الغالبة في دولة أوزبكستان ، وهم الذين يسمون اليوم بـ " الأوزبك " ، وقد أوضحنا العلاقة بين " القارلوق " و " الأوزبك " ، وسبب التسمية بهذا الاسم " الأوزبك " على الرغم من حداثة (لم يطلق ويعرف على نطاق واسع إلا قبل ٥٠٠ سنة تقريباً) .
أما " الأويغور " فهم القبيلة الغالبة في تركستان الشرقية .

الخلاصة :

- لفظ بخارية لفظ أطلقه العرب على المهاجرين من وسط آسيا ، ولا يدل حقيقة على عرقهم ولا على قبائلهم .
- أغلب البخارية في البلاد العربية ممن ينتمي إلى مدن من تركستان الغربية ، و دولة أوزبكستان تحديداً هم من قبيلة القارلوق التركية . إذن فهم أترك كعرق ، ومن قبيلة القارلوق كقبيلة .
- أغلب البخارية من تركستان الشرقية (كاشغر ، ختان ...) هم من قبيلة الأويغور التركية . إذن فهم أترك كعرق ، ومن قبيلة الأويغور كقبيلة .
- لا يعني كلامنا عن البخارية من تركستان الغربية أن جميعهم من قبيلة القارلوق ، بل قصدنا بالغالب الذين يرجعون في أصلهم إلى مدينة من مدن دولة أوزبكستان الحديثة أو من منطقة من مناطقها، وإلا فهناك بخارية (وهم قلة) من أصول قرغيزية (جمهورية قيرغيزستان) ومن أصول قازقية " كازخية " (جمهورية كازاخستان) ومن أصول تركمانية (جمهورية تركمانستان) .
- البخارية الذين يعرفون بأنهم من التاجيك (الطاجيك) ، هؤلاء ليسوا بأترك العرق بل هم من العرق الفارسي .

"١" - منطقياً لا يصح إطلاق لفظ بخاري على كل شخص من وسط آسيا، سواء من تركستان الشرقية أو الغربية ، وذلك لأن لفظ بخاري في الغالب تدل على منطقة بذاتها وهي مدينة بخارى أو على شخص من قبيلة معينة وهو الإمام البخاري أو على إمارة من الإمارات وهي بخارى ، والتركستانيون من مدن ومناطق مختلفة ، فلا يصح تعميم دلالة مكان معين عليهم . مثلاً : لا يصح إطلاق لفظ " مدني " (أي من المدينة المنورة) على شخص من مدينة جدة ، ولا لفظ " مكي " (أي من مكة المكرمة) على شخص من مدينة الرياض ، وهكذا . كما لا يصح إطلاق لقب شخص مشهور على جماعة من الناس لأنهم قد لا يكونون من عرقه أو من قبيلته ، وكما لا يصح تعميم تسمية إمارة من الإمارات على جماعة كبيرة من الناس قد لا يكونون من ضمن رعاياها . لكن هذا ما أطلق على التركستانيين وهذا ما عرفوا به في البلاد العربية .

"٢" - من تلك المناطق والمدن : ١- مدينة طاشقند ، وهي العاصمة الآن لدولة أوزبكستان .

٢- مدينة نمقان . ٣- مدينة أنديجان . ٤- مدينة مرغلان ، وهي مدينة رئيسية في ولاية فرغانة .

٥- مدينة سمرقند . ٦- مدينة قوقند . ٧- مدينة بخارى . وغيرها من المدن ..

اللغة: لغة البخارية " التركستانيون " هي اللغة التركية ، ولكن في الغالب تنقسم لهجاتهم إلى لهجتين :
١- اللهجة الأوزبكية (القارلوق) = من هم من أوزبكستان الحديثة وهي جزء من تركستان الغربية .
٢- اللهجة الأويغورية = من هم من تركستان الشرقية .
وتتشابه هاتان اللهجتان كثيراً .. وتعرف لهجة البخارية أيضاً باللهجة الجغتائية (الجغتائية) .

التاريخ:
تاريخنا جزء من تاريخنا الكبير " تاريخ الترك " ، لذا حتى نفهم تاريخنا علينا معرفة وفهم تاريخنا الأكبر ، حتى نستوعب ونعرف ماضيها العظيم . وسيكون ذلك في بحث منفصل كما سبق وذكرنا .
ختاماً : أرجو أن أكون قد وفقت في ختام بحثي هذا في الإجابة عن التساؤلات وإيضاح الكثير من الأخطاء والالتباسات عن القبائل التركية والتركستانية خاصة منها .

الفهرس

| | |
|----|--|
| ٢ | مقدمة |
| ٢ | الأعراق البشرية |
| ٤ | العرق التركي |
| ٥ | بلاد الأتراك التاريخية وتركستان |
| ٦ | - القبائل التركية |
| ٧ | أ- الأوغوز |
| ٨ | ب - القارلوق / أوغور |
| ١٠ | ت- القبجاق (الكيشاك) |
| ١٩ | ث- السبيريون |
| ٢٢ | - اللغات الألتائية (الألتائية) |
| ٢٢ | ١- اللغات المغولية (المغولية) |
| ٢٣ | ٢- اللغات التنغوزية (المنشورية) |
| ٢٣ | ٣- اللغة الكورية |
| ٢٣ | ٤- اللغة اليابانية |
| ٢٣ | ٥- اللغات التركية |
| ٢٤ | الشعار القومي للقبائل التركية |
| ٢٤ | الإمبراطوريات والدول التركية عبر التاريخ |
| ٢٥ | البخاريون .. من هم ؟! |
| ٢٨ | الفهرس |